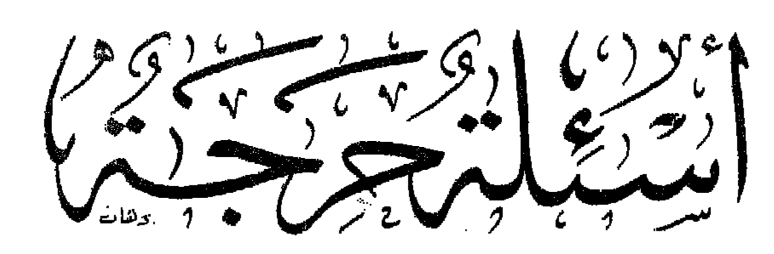
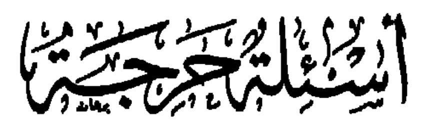
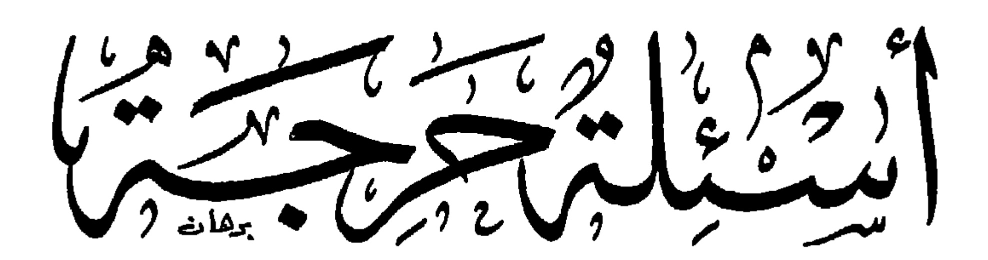


بقلم

عبد الرزاق نوفل


أسئلة حرجة



بقلم
عبد الرزاق نوفل

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

(ادعُ إلىَ سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أعلَمُ بالمُهْتَدِينَ) .

(صدق الله العظيم)

(١٢٥ سورة النحل)

الإهداء

إلى كل أب يجد حرجاً فيما يسأله عنه ولده ..
إلى كل أم لا تجد ما تجيب على أسئلة ابنتها به ..
إلى كل من تهجس نفسه ببعض الشك فيما يؤمن أو يعتقد ..
إلى كل من استمع إلى الخصوم فتولدت لديه شبهات في الإيمان والإسلام أهديهم .. هذا الكتاب .
ردودا عن الإيمان .. لتثبيت عقيدته ..
وإجابة عن الإسلام لبيان حقيقته ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ . كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ) .

(٣ — ٤ سورة الحج)

قرأت كثيراً فيما كتبه أعداء الأديان حول عقيدة الألوهية — وجود الله ووحدانيته — واطلعت على عديد مما سطره الخصوم ضد الإسلام .. وما أثاروه من حملات على نبي الإسلام ..

واستمعت طويلاً إلى أسئلة الحائرين واستفهام الباحثين .. وناقشت عميقاً تعليقات الملحدين وتساؤلات المتشككين .

والتقيت مراراً بمن أثارت في نفوسهم شياطين الجن النازعات .. واجتمعت تكراراً بمن ألقت في عقولهم شياطين الإنس الشبهات .

فما وجدت صدقاً فيما كتبوا .. وما صادفت حقاً .. فيما قالوا .. وما عانيت في سبيل الرد شيئاً .. وما لقيت في الإجابة عنتاً أو تعباً .. فإنما هي غلالة كثيفة على العين حرمتها البصر .. وهزة كثيبة أدارت الرأس عن الحق .. فما إن رفعت الغمامة حتى رأت العين الحقيقة واضحة في كل أمر .. وما إن اعتدل الرأس حتى استقام له كل شأن .. وفرت النازغات .. وذابت الشبهات .. وحل الإيمان واليقين محل الكفر أو الشك أو الشبهة في الدين ..

فإن كل ما يحتاجه الإنسان لتثبيت إيمانه .. وتأكيد عقيدته.. هو التدبر .. والتفكر .. يناقش ما يثار .. ويتدارس ما يقال .. وينصت إلى كل ما ينبعث من داخله من حقائق أودعها الله سبحانه وتعالى في نفوس عباده .. ففطرها عليها .. ولكن كثيراً ما يشغل الإنسان سعيه في سبيل رزقه .. فلا يجد وقتاً كافياً للتدبر والتأمل والتفكر .. كما يحول صخب الدنيا وضجيجها بين الإنسان والاستماع الصادق لما في داخله .. وهكذا لا يسمع الانسان شيئاً إلا وهو في حالة مجهدة .. وفي ظروف قلقة .. فإن كان خيراً لا يشعر به .. وإن كان شراً فلا يمنعه عن طريقه إليه فكر سليم أو تدبر هادىء .. وتثور الآراء الهدامة وتنتشر بسبب الصراع في الحياة والتعب في سبيل العيش وعدم وجود الفسحة من الوقت المناسبة والهدوء الكافي للتأمل والدرس .. ولا يجد الأطفال ولا الشباب من ذويهم أو المشرفين عليهم ردوداً قاطعة على أسئلة حائرة .. عن إيمانهم .. وعن إسلامهم .. إما

لعدم توافر الفرص المناسبة والمناخ الملائم .. أو لشعور الآباء والأمهات بالحرج من هذه الأسئلة أو من الرد عليها لسبب أو غيره .. فلا يردون وإن ردوا فبما قد يزيد أطفالهم وشبابهم حيرة وقلقاً .

وهكذا كان التفكير في إخراج هذا الكتاب .. لعل فيه إجابات عن أسئلة دائماً تطرح ودائماً تثار .. ولعل فيه رداً على الملحدين والمتشككين .. وهداية للخصوم وأعداء الدين .

والله ولي التوفيق .. منه الفضل وله الحمد .. وعليه التوكل وإليه المتاب .

(وَلاَ تُجَادِلوا أَهلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ إلاَّ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنهُم وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إلينَا وَأُنزِلَ إليكُم وإلهُنَا وإلهُكُمْ وَاحِد وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ).

صدق الله العظيم .

(٤٦ سورة العنكبوت)

المؤلف
عبد الرزاق نوفل
٨٠ شارع قصر العيني . القاهرة

عن الإيمان

وجود الله

* سألني يوماً من قال: اعطني بسرعة وباختصار دليلاً على وجود الله ..

ولحظتها وقعت عيني على مرآة صغيرة بجواره فناولته إياها وقلت له انظر فيها تجد الدليل الذي لا يبارى .. فحدق فيها .. وابتسم ثم بكى .. وقام يصلي .

وقديماً قال العلماء .. (إذا كانت البعرة تدل على البعير أفلا تدل السماوات والأرض على اللطيف الخبير) .. وإذا كانت السماء بعيدة .. ودراستها شاقة والأرض متسعة والإحاطة ببعضها متعذرة .. وتحتاج دراسة بعض ما في السماء والأرض إلى تركيز وبحث .. فإن الإنسان نفسه .. هو الدليل القريب الملموس الذي ليس بأقرب منه على وجود الله .. فهل هناك ما هو أقرب إليك من نفسك التي تعايشها .. في حياة المادة .. وفي حياة الروح ؟ .

إنك لا شك لم تخلق نفسك . وقطعاً لم تخلق غيرك .. فمن خلقك إذا ؟ . الله ولا سواه .

وإذا نظرت إلى نفسك في المرآة .. أدهشك ما ترى .. هذا الوجه المتكامل المتناسق الذي يضم كل ما أنت بحاجة إليه لتسمع وترى وتشم وتأكل وتعرف وكل جهاز مستقل عن الآخر .. بلا اختلاط .. وبلا تداخل .. وما يظهر من هذه الأجهزة ويثير العجب كل العجب .. لا يعتبر شيئاً إذا قيس بما لا يظهر وبما لم يعرفه الإنسان بعد .. فمما لم يجد العلم جواباً عليه .. أو تعليلاً له .. ما حدث لولد في الثامنة من عمره ولد أصم أبكم لا يسمع ولا ينطق .. صدمته سيارة .. صرخ بسببها الولد ثم نطق بعد ذلك .. والأغرب من ذلك .. أن يتكلم الولد بعد ذلك بلغة مفهومة وبوعي كامل لكل ما حوله .. دون أن تكون له خبرات سابقة على الاستماع والفهم .. فكان يعرف الطبيب . ويقول جاء للتغيير على الجرح .. فكيف عرف .. ومتى ؟ وبعد أيام قليلة عادت له العاهة وأصبح كما كان أبكم أصم ..

ويحتار العلماء .. فيما أسموه حاسة الاتجاه .. فالإنسان عندما يخرج من الغرفة فإنه يعرف أين الباب فيتجه إليه .. وإذاً رغب أن يطل من النافذة .. فإنه يسير إليها تماماً .. وفي الشارع يعرف متى يعبر الطريق ومن أين .. هذه الحاسة احتار فيها العلماء .. فعندما كان مريضاً تجرى له جراحة وبعدها فقد هذه الحاسة فلم يعرف كيف يخرج من الغرفة !. ولا كيف يفتح النافذة .. لأنه يجهل الطريق الذي يسلكه ليتجه إلى أي منها ..

وفقد امكانية السير الصحيح تماماً .. رغم أن الطفل في أول أيامه من السير تكون لديه هذه الحاسة .. بحث العلماء فيما حدث .. ووصلوا إلى نتيجة هي أن بالإنسان حاسة .. هي حاسة الاتجاه تختص بها أجهزة دقيقة لم تعرف بعد ..

ولو تدبر الإنسان حاله لوجد أموراً غريبة كلها تؤكد قدرة الله وعظمته .. فإن الخالق قد أودع من الأسرار في جسم الإنسان ما لا يعرفها الإنسان نفسه بعد . وقد يعرف بعضها وقد لا يعرف أكثر مما عرف وهو أقل القليل .. فهناك مثلا خاصية الاتزان .. فالإنسان يقف على قدميه فلا يسقط بينما لو وضعنا شكلاً يماثل الإنسان من خشب أو حديد .. ما استقر في اعتداله إلا لحظات بعدها لا بد أن يسقط إلى الأمام أو إلى الخلف .. يميناً أو يساراً .. وإدا اجتهدنا في صنعه وقدرنا مركز الثقل وحسابات الأبعاد فإن أقل هزة .. في الأرض أو هبوب رياح كفيلة بأن تسقط هذا الشكل .. بينما الإنسان لا يسقط .. ثم إنه يسير .. ويتحرك .. ويتجه شمالاً .. وشرقاً .. جنوباً وغرباً .. يميل بجذعه وينثني بقوأمه .. ولا يسقط أبداً .. إن هذه الخاصية .. لمن الأسرار التي أودعها الخالق في الإنسان .

وهناك حاسة عجيبة رهيبة أطلق عليها العلماء منذ زمن بعيد اسم الحاسة السادسة حيرت الألباب .. وأثارت العجب .. وشدت الانتباه ألا وهي حاسة الاستشفاف والتواصل أو الحدس وهي أن يعرف الإنسان أو يرى مالا يعرفه غيره أو يراه .. وهذه الحاسة مما اعترف بها العلم ويقول عنها الدكتور الكسيس

كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) ما نصه (إن الحدس في الحياة اليومية وسيلة قوية من وسائل المعرفة . وعظماء الرجال والبسطاء واتقياءالقلوب هم وحدهم الذين يملكون أن يرتفع بهم الحدس إلى القمم العالية في الحياة العقلية والروحية . إنها ملكة فريدة. إن إدراك الحقيقة دون عون من التفكير والتدليل يبدو لنا أمراً لا تفسير له .. يبدو الحدس في إحدى صوره كما لو كان استدلالا غاية في السرعة يتم على أثر ملاحظة خاطفة ومن المحتمل أن تكون المعرفة التي يكونها عظماء الأطباء عن حالة مرضاهم وعن مستقبلهم من هذا القبيل .. وتحدث مثل هذه الظاهرة عندما نحكم في لحظة على قيمة رجل وتخمين مزاياه ونقائصه ولكن الحدس يحدث في صورة أخرى دون ملاحظة أواستدلال. فنحن نبلغ أحياناً هدفنا المنشود دون أن ندري شيئاً عن مكانه دون أن نعرف وسيلة الوصول إليه .. يبدو كأن هذا النوع من المعرفة قريب من الاستشفاف تلك الملكة التي تسمى الحاسة السادسة .. إن وجود الاستشفاف والتواصل عن بعد هو من المعطيات المباشرة للملاحظة .. ويدرك الناس به بدون وساطة أعضاء الحس أفكار شخص آخر . وهم يعرفون كذلك أحداثاً بعيدة إن قليلا أو كثيراً في المكان والزمان . هذه المقدرة خارقة وعجيبة..إنها لاتنموإلاعند عددقليل جداً من الأشخاص ولكنها موجودة في حالة بداثية عند كثير من الأفراد وهي تمارس دون جهد وبطريقة خاطفة .. إنها تبدو بسيطة جداً لمن يمتلكونها

وهي تتيح لهم معرفة بعض الأشياء معرفة أكثر يقيناً من التي يحصلون عليها بأعضاء الحس . إنهم يرون أفكار أي شخص بالسهولة التي يحللون بها تعبيرات وجهه .. ولكن كلمة يرى وكلمة يحس لا تعبران تماماً عما يحدث في شعورهم .. إنهم لا يرون ولا يحسون وإنما يعرفون .. ظواهر التواصل عن بعد تحدث في كثير من الحالات .. فقد يظهر الشخص المحتضر لأحد اصدقائه وهو على بعد منه ويتكلم معه ويخبره عن موته.. وأندر من هذا أن يرى صاحب الاستشفاف على مسافة كبيرة منظراً أو شخصاً أو مسرحاً لبعض الحوادث يصفها وصفاً صحيحاً دقيقاً .. وقد وقع لأشخاص عديدين ليسوا موهوبين عادة بالاستشفاف مرة أو مرتين خلال حياتهم أن خبروا التواصل عن بعد) .

هكذا أطلق العلماء على هذه الحاسة اسم الحاسة السادسة .. وقد وقع لكل فرد منا مرة على الأقل في حياته .. أن تهيأ له صورة صديق .. وكأنه يراه .. ثم لايلبث أن يجده على خطوات منه .. رغم ما يكون بينهما من مسافة .. وقد أوجد الإنسان تعليلات عديدة لذلك .. إلا أنها لا شك من الأسرار التي تشير إلى قدرة الله سبحانه وتعالى في الخلق .. وأن الإنسان لم يعرف بعد .. كل ما في داخله .

إن أي جهاز في الجسم إذا أصيب سارعت بقية الأجزاء بنجدته وإسعافه .. دون تدخل من الإنسان .. وفي كثير من الحالات يهاجم المرض الإنسان فلا يشعر به .. ولا يحس منه ..

إنما عالج الجسم نفسه .. بنفسه .. ودون أن يدري صاحبه .

وإذا ترك الإنسان جسمه واتجه إلى دراسة أساس الحياة نفسها لوجد أن الحياة مادتها الأصلية هي ما يسميه العلماء بالبروتوبلازم الذي يوجد داخل وحدات صغيرة تكون كل الكائنات الحية . هذه الوحدات هي الخلايا .. وهذه المادة هي التي تقوم بكل عمليات الحياة من تغذية وهضم وتنفس ونمو وتجديد وهذه المادة عبارة عن سائل لزج مطاط إلى حدما يشبه بياض البيض به جسيمات دقيقة عالقة فيه مختلفة الشكل والحجم . والبروتوبلازم يتكون من ماء ومن بروتين ومن هذه الجسيمات الدقيقة العالقة فيه وباتحاد هذه المواد مع بعضها تقوم الحياة .. وتتولد . وبدون اتحادها لا توجد حياة .. وقد ادهش العلماء ما وصلوا إليه من أن الماء وحده خال من الحياة .. وكذلك البروتين .. وأيضاً هذه الجسيمـــات فبتحليل هذه المواد منفردة ودراستها لم توجد بها أية إشارة على وجود أي أثر للحياة فيها .. ولكن بمجرد اجتماعها داخل الخلية تقوم الحياة .. وتتولد .. ووقف العلم عاجزاً عن إدراك هذا السر .. ولكنه سجد لله .. فهنا تبدأ الحياة .. بلا إرادة من أي قوة إلا إرادة الله وحده ..

ولو امتد بصر الإنسان إلى الأرض وما عليها من نباتات ظاهرة وكائنات دقيقة أخرى مختفية ومن دواب تدب عليها .. أو طيور تطير في جوها .. لوجد العجب كل العجب .. فإن في كل منها من الغرائب والعجائب ما يشير إلى عظيم قدرة الله

في الخلق .. ويؤكد وجوده .

وأما لو ابتعد الإنسان ببصره .. وحاول دراسة هذا الكون الذي يعيش على ذرة صغيرة لا تكاد ترى فيه ألا وهي الأرض لوجد الأدلة الناطقة على وجود الله .. فلقد وصل العلماء إلى أن هذا الكون قد تكون نتيجة انفجار هائل مروع تناثرت به جميع مادة الكون في جميع الاتجاهات في الفضاء الخارجي . وأن الانفجار قد حدث من ٦ ــ ٧ ملايين سنة مضت .. وبدراسة مادة الكون عرف أنها ما زالت تتخلق في مكان بعيد أبعد مما يتخيل الإنسان وأعمق مما يتصور .. وأنها تتخلق من عدم .. فهناك في مكان ما .. على أبعد وأعمق ما يمكن تخرج مادة الكون تسبح لله .. وتشهد على وجوده ..

ويتابع العلماء دراساتهم عن الكون وخلقه وتمدده وانفجاره ومن أعجب وأغرب ما يدرسه العلماء حالياً نظرية تقول إن المادة المتفجرة التي قذفت شظايا الكون ربما لم تنفجر بالمعنى المعتاد .. فقد يكون الكون يتمدد الآن لأنه كان من سحيق الزمان قد انكمش من اللانهاية حتى وصل إلى نقطة يرتد فيها .. وأن مثله مثل الإنسان إذا ما دخل غرفة ورأى كرة ترتفع من الأرض عالية في الهواء .. فلا بد أن يستنتج أن الكرة كانت قبل ذلك ساقطة على الأرض ثم أرتدت إلى أعلى .. وأننا ونحن نراها مرتدة إلى أعلى نتصور أنها بدأت كذلك مع أنها بدأت بالعكس .. وأنها قد بدلت وضعها .. وبذلك فإن ما نعمله نحن حالياً .. كان يعمل عكسه الأقوام التي سبقونا في أوائل الكون

ويقول في ذلك جورج جابوف في كتابه (واحد اثنان ثلاثة لا نهاية) ، ما نصه (يمكننا الآن أن نسمح لخيالنا أن يشطح دون أن يقيده قيد أو يحده حد .. ونتساءل عما إذا كان ما يحدث الآن في الكون كان يحدث أثناء المراحل السابقةلانكماشه بترتيب عكسي هل كنت تقرأ هذا الكتاب من آخر صفحة إلى أول صفحة فيه منذ ستة أو ثمانية بلايين سنة ؟ وهل كان أناس ذلك الزمان يخرجون من أفواههم دجاجاً محمراً ثم يردونها إلى الحياة ويعيدونها إلى المزرعة حيث تنمو من مرحلة البلوغ إلى مرحلة الطفولة ثم تزحف أخيراً داخل قشور البيض ثم تصبح بعد أسابيع بيضاً طازجاً ؟ .. أن مثل هذه المسائل رغم طرافتها لا يمكن الإجابة عنها من وجهة النظر العلمية البحتة .. لأن الحد الأقصى لانكماش الكون الذي انضغطت فيه المادة حتى صارت سائلا نووياً منتظماً لا بد أن يكون قد محا جميع آثار مراحل الانكماش السالفة)

ولكل إنسان أن يتخيل كيف كانت الحياة العكسية في بداية الكون .. وهل يولد الإنسان شيخاً عجوزاً ثم يتدرج إلى إلى فترة الشباب ثم يصل إلى الطفولة وبعدها يدخل إلى عالم الذرة حيث يصبح نطفة في ظهر أبيه ثم بعد ذلك يرجع إلى ما كان عليه قبل .. و إذا لم يكن الكون كذلكحالياً فهل معنى ذلك أنه بعد أن يصل في التمدد حدا قدره الله .. يعود إلى الارتداد مرة أخرى .. فتعيش الأقوام بعدنا في هذه الحالة العكسية ..

ترى كم من دليل على وجود الله .. وأدلة صارخة قوية ظاهرة أليست كل خلية حية واحدة فيها العديد من الأدلة على وجود الله . وأليست الذرة الواحدة التي توجد فيها كهارب سالبة وأخرى موجبة وكلها تتحرك وتطوف وتسبح في حركة محدودة وبنظام وتقدير .. فيها الأدلة المادية العلمية على وجود الله

أليس في نفس كل إنسان ملايين الأدلة على وجود الله ؟ .

وهل بعد ذلك يسأل أي إنسان عن وجود الله ؟ .

وحدانية الله

* يثير تعدد الآلهة عند القدماء النقاش .. لا سيما وأن آثارهم تدل على حكمة ومعرفة . وقد سأل البعض عن درجة هذا الاعتقاد عندهم وإيمانهم بذلك وأسبابه والرد العلمي عليهم .

إن سبب التعدد الذي دعا إليه القدماء إنما يرجع إلى تنزيههم الله سبحانه وتعالى عن الشر فعندما عرفوا الخير .. أسندوه إلى الله يقيناً .. وعندما رأوا الشر .. لم يفكروا إلا في إسناده إلى آخر غير الله اللطيف الحكيم .. فقالوا بوجود إله للشر .. ولنفس الأمر قالوا بوجود إله للزرع وآخر للجدب .

فلم تكن الفكرة عندهم مجرد إيمان بتعدد الآلهة ولكنها كانت فكرة تنزيه الله جل شأنه عن كل شر يجدونه .. أو كل ضيق يعانونه ..

ولنفس السبب فإنهم قسموا بلادهم وجعلوا الآلهة عليها ..

لكل قسم إله .. ولم يطل بهم هذا الاعتقاد إذ سرعان ما ظهر اخناتون الذي دعا إلى الإيمان بالله الواحد الأحد الذي خلق كل ما في الوجود .. ويسيطر على كل ما في الكون ..

وبالرغم من قبول القدماء هذه العقيدة وإيمانهم بها إلا أنهم لنفس السبب وأسباب أخرى خاصة برجال الدين طلبوا العودة إلى التعدد . إن هؤلاء .. وأمثالهم ممن اتخذوا الأصنام للعبادة .. أو الشمس .. أو القمر .. أو حتى الحيوانات – لم يعبدوها لأنها في اعتقادهم هي الله .. ولكنهم عبدوها ليتخذوا من هذه العبادة قربى إلى الله فهم لا يمكنهم في ظنهم عبادة الله مباشرة .. أو الاتصال به . إلا عن طريق ما هو أقل منه .. وأقرب إليهم .. وفي ذلك يقرر القرآن الكريم في آياته الشريفة :

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءَ مَا نَعبُدُهُم إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللهِ زُلْفَى) .

(٣ سورة الزمر)

فنزعة الإيمان الفطري في نفس الإنسان إنما تؤكد له وحدانية الله جل شأنه .. إلا أنه قد يحيد عن ذلك بسبب قصور في إدراكه ورغبة جامحة في أن يجعل الله سبحانه وتعالى في مكانة لا يرتفع إليها هو بعبادته .. أو دعائه .

والمتدبر للحياة بكل ما فيها . يجد الأدلة العلمية والمنطقية على وحدانية الله سبحانه وتعالى . فكل الكائنات الحية أصلها خلية حية واحدة .. وكل المواد الأخرى أصلها ذرة واحدة ..

وفي داخل الخلايا الحية .. مكونات واحدة .. من أصل واحد .. وكل ما في الذرات كهارب من أصل واحد .. فوحدة الخلق ووحدة الأصل إنما تؤكد وحدة الخالق .

وتنقسم الخلية الحية .. كل خلية وأي خلية بطريقة واحدة . وبشكل واحد .. وتتكاثر الأحياء بطريقة واحدة .. فالإنسان كله منذ آدم حتى نهاية البشر تناسلهم بطريقة واحدة .. أينما كانوا في مشرق الأرض و مغربها .. في قديم الزمن أو حديثه .. والطيور والنباتات .. لم يحدث أن شذ في تناسلها أو تكاثرها مجرد فرد واحد .. ألا يشير ذلك إلى وحدة الخلق ؟ ..

ووصل العلماء إلى حقيقة علمية مؤكدة وهي تناسق الحركة وتماثلها في كل الكون .. فإن الكهارب داخل الذرة .. نسبتهاإلى الفراغ الذي في الذرة .. كنسبة أفراد مجموعة الشمس إليها .. ونسبة المجموعة الشمسية إلى غيرها .. وهكذا تستمر سلسلة من نسب متساوية ومتناسقة . لا تختلف .. بل إن سرعة دوران هذه الكهارب حول مركزها وحول بعضها .. بالنسبة لحجمها .. تعادل تماماً نسبة سرعة دوران المجموعات الكونية .. إن هذه الوحدة في كل الخلق .. والتناسق والتكامل .. إنما تؤكد وحدة الخالق جل شأنه .

وبتحليل مكونات المجموعة الشمسية وجد أنها كلها تتكون من عناصر واحدة .. وبتحليل جسد الإنسان والحيوان والنبات وجد أن كلها أيضاً تتكون من عناصر واحدة .. إن الوحدة في

الخلق هي الصفة الأولى الأساسية التي تسير إليها الحياة في كل صورها ..

وإذا نظرنا إلى الإنسان وجدنا الاختلاف في شكل كل فرد عن الآخر .. ملايين الملايين من البشر منذ آدم حتى الآن .. لم يحدث إطلاقاً ولو مرة واحدة أن ظهر أي إنسان طابق شكله آخر .. حتى الأقارب جداً مهما توالدوا . ومهما اقتربوا في الطول والعرض والشكل لا يمكن أن يطابق الفرد آخر اطلاقاً .. وإذا ما تركنا شكل الإنسان الظاهري على وجهه .. فإن مساحة الوجه وما فيها قد يجعل من يقول إنها فرصة متاحة لعدم توافق شكل بآخر .. ونظرنا إلى بصمة الأصبع التي لا تزيد مساحتها على سنتيمتر واحد مربع أو أزيد قليلا وعليها الخطوط الدائرية التي لا تتقاطع .. هل هناك أي احتمال بأن تختلف بصمة عن أخرى .. إن الحقيقة لتقرر أنه لم تتفق بصمتان إطلاقاً .. وأن لكل فرد بصمته الخاصة التي لا تتكرر أبداً مع غيره .. هذا الاختلاف في الشكل وفي البصمة .. ألا يؤكد أن الخالق لا شك واحد . وواحد فقط .. وإلا لوجد في الحياة أفراد تتطابق أشكالهم أو بصماتهم فإن تعدد الآلهة .. يسبب لاشك وجود فرصة لتماثل في شكل الخلق .. ولو على طول الزمن .. أما الفردية المطلقة في الشكل والبصمة .. على طول الخلق .. فإن ذلك ليعتبر من أقوى الأدلة على وحدانية الله .. سبحانه وتعالى .

أين الله ؟

* سؤال كثير التردد .. في خفوت .. وهمس .. وأحياناً نسمعه واضحاً عالياً .. سؤال يتردد في براءة كثيراً .. وأحياناً لإثارة الشك .. ونشر الإلحاد .

يسأل الطفل أهله في براءة وإصرار .. أين الله .. فلقد احتار في أن يوائم بين ما يعتقده فطرياً وينبعث من داخله وبين ما يستطيع أن يستوعبه عقله ويحتمله إدراكه .. فيسأل ويعاود السؤال .. فلا يجد من أهله أو من هم حوله .. إلا الزجر والتهديد وإذا أجيب عن سؤاله .. فبإجابات تزيد من حيرته .. وتهيء للشك في نفسه فرصته .

وما من إنسان إلا ومرت عقيدته بفترة شك رهيبة أثارها الشيطان وتطول الفترة أو تقصر .. يتأجج الشك أو يخبو .. حسب تصرف الإنسان نفسه مع نفسه .. ومع شيطانه .. وفي لحظات الشك يسأل البعض أين الله .. ولكنه يخشى السؤال .. لأنه لا يجد الجواب .. إلا بما يزيده حيرة وإذا سأل الملحد الذي يريد

أن يعرف .. وقد طغت على حواسه ستر المادية .. وحجبت عن قلبه الحقيقة.. لا يجد إجابة.. إذ يطارده الناس ..لا يناقشوه.. ولا يباحثوه وبذلك قد يصبح مع الكافرين .

أين الله .. ؟ سؤال يجب أن نحدد الإجابة عليه بماأوضحته الحقائق العلمية وما أثبتته الدراسات والأبحاث المعملية .

إن الإجابة الخاطئة التي ما زالت تنتشر بين الناس والتي تقول إن الله في السماء قد أثارت شكوكاً وأصابت إيمان البعض بهزات عنيفة .. فالطفل تعلمه والدته .. ويؤكد له والده أن الله في السماء فتترسب في عقيدة الطفل أن الله في السماء .. وكم من ملايين في العالم ما زالوا بهذا الاعتقاد يرفعون أيديهم إلى السماء .. ويمدون أبصارهم إليها .. يتضرعون إليها .. ويطلبون منها .. اعتقاداً منهم أن الله في السماء .

وعندما خرج الإنسان إلى الفضاء .. وغزوا السماء .. قال بعض الغزاة .. إنهم جابوا السماء ولم يروا الله في سماواته .. فعاد السؤال ملحاً .. وواسعاً .. إذاً أين الله ؟

لقد تصور هؤلاء .. أن لله ذاتا شبيهة بأي ذات .. وأنهم سيجدون في السماء طرقاً تقود إلى دهاليز ثم إلى ردهات ثم الملائكة والحجاب .. ثم يجدون مكاناً .. فيه الله .

هذا هو التصور الخاطيء والخيال المريض .. وما مـــن سبب له .. إلا إجابة خاطئة يجدها الإنسان منذ طفولته على سؤاله .. أين الله .. وهي أنه في السماء .

إن الله سبحانه وتعالى ليس كما نتصوره أو نتخيله ..

فلنستغفر دائماً عما يدور بخيال كل إنسان من شبه لله أو صورة له .. فإن نور الله جل شأنه لا يتخيله عقل .. لا حد له .. ولا تغير فيه وكل نور يسطع في السماء أو يشرق على الأرض .. أي نور .. وكل نور هو من بعض نوره .. وإلا من أين نشأ النور .. ولا يعرف العلم حتى الآن .. ولن يعرف كيف نشأ النور .. الذي نراه في السماء والأرض .. إنه بعض نور الله .. وقوة الله سبحانه وتعالى لا يحدها إدراك .. لا بداية لها ولا نهاية فيها .. وكل ما في الوجود من قوى تحرك الشمس والأرض .. وتحمل وحدات هذا الكون في الفضاء فإنما من آثار هذه القوى .. إن الله سبحانه وتعالى في كل مكان .. لأن النظام الذي يحكم هذا الكون يشير إلى أن الله في هذا النظام جميعه .. والله فوق كل مكان .. وبعد كل مكان .. لأن كل ما في الوجود إنما انبعث بأمره .. ومنه .. فالله في كل شيء .. ليس له مكان نحدده .. لأنه أكبر من المكان .. وليس له زمان بدأ به لأنه هو خالق الزمان .. إنه الكبير ولا أكبر منه .. وإنه الأبدي الذي كان ولم يكن قبله .. ولن يكون بعده .. إنه الله .. تجده في كل خلية وكل ذرة .. تجده في السماء .. وفي المحيط .. في كل نسمة هواء .. وفي كل حبة مطر .. إن الله في كل شيء .. لأنه هو الخالق لكل شيء .. فإذا سألك سائل أين الله .. فقل إنه في قلبك .. إنه في نفسك في خلاياك .. في كل ما حولك .. لا يتركك لحظة .. ولا يفارقك قط .. أينما اتجهت فهو أمامك .. وأينما سرت فهو معك .. وأينما أدرت وجهك . فهو ما دار إليه .. فانظر إلى أي شيء وتفكر فيه .. تجد فيه ما يشير إلى أن الله فيه .. سبحانه وتعالى .

لماذا لا نرى الله ؟

* يسأل البعض لماذا لا نرى الله جهرة فنؤمن به ؟ .

إن أجهزة الإنسان في حياته الدنيا لا تتلاءم ورؤية الكثير مما حوله .. فهذا هو الهواء نحس به ونستنشقه .. ويملأ كل الفراغ من حولنا وتبلغ كتلته حوالي خمسة آلاف مليون طن ولكننا لا نراه .. إنما نرى أثاره .. ونحس بوجوده .. وهذه الإشعاعات القصيرة أو الطويلة .. تؤثر فينا تأثيراً عميقاً .. تقيسها الأجهزة .. وتسجلها الآلات ولكننا لا نراها وهذه الكهرباء .. تسري في الأسلاك .. وعندما نضيء المصباح نرى آثارها .. ولكننا لا نراها .. وهي سارية في طريقها .. وكثرة بالغة مما حولنا لا نراها ..

وأجهزة الإنسان لا يمكن أن تستطيع رؤية الله .. فهل مثلا يمكن للإنسان أن يواجه الشمس بعينيه ولو لحظة خاطفة ؟ لو رفع الإنسان بصره إليها .. اضطربت عينه وانهمر دمعه و اهتزت اعصابه وقد يفقد بصره فيا ترى ماذا يكون الأمر لو

اقترب من الشمس أكثر فأصبح على بعد خطوات منها .. فلا يمكن أن يسأل الإنسان لماذا لا نرى الشمس .. ؟ فكيف بالنجوم الأكبر من الشمس .. وكيف بالنور الذي من بعضه كان نور الكون .

إن القصور في أجهزتنا والذي يحجب عنا الرؤية المباشرة والسمع الكامل إنما هو من رحمة الله بالإنسان إذ لو كشف بصيرة الناس فرأوا وسمعوا ... ما قامت الحياة .. وفي قصة المتصوف الذي سأل الله أن يكشف عن بصره وبصيرته فيرى آياته .. عبرة .. وأي عبرة .. ففي لحظة ارتفعت الحجب عن السائل.. فسمع الحجر وأجزاءه تسبح لله.. ورأى الذرات تسجد وتركع لله . . فقد ثبت أن بداخل كل ذرة كهارب هي الالكترون والبروتون .. وأنها تطوف وتسبح حول مركز قوة يبدأ في الصفر المطلق أو يبدأ من العدم . وأن الكهارب الأقرب إلى المركز .. تقوم وتسجد .. في حركة رتيبة .. فامتنع على المتصوف أن يجلس أو يمشي .. أو ينام أو يأكل .. فإن التسبيح والركوع والسجود يشمل كل ما في الوجود فكيف يأكل منه .. وكيف يدوس عليه .. فدعا ربه .. أن يحجب عن بصره وبصيرته ما يرى .. فعاد كما كان .

وليس معنى ذلك أننا في حياتنا الدنيا لا نرى الله .. أننا نراه في آثار قدرته .. وشواهد عظمته وحسن تدبيره وجميل صنعه في كل ما خلق .. أما أن نرى الله جهرة فهو ما لا سبيل إليه بأجهزتنا .. وقد سأل موسى ربه أن يجعله ينظر إليه .. فلما

أن تجلى الله سبحانه ببعض قدرته ولأقل من لحظة اندك الجبل وصعق موسى .. وكادت تتهاوى الأرض والسماء وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظر إِليكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إلى الجَبَلِ فإن استَقَرَّ مكانَه فَسَوفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبحَانَكَ تُبتُ إِليكَ وَأَنَا أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ) .
(١٤٣ سورة الأعراف)

وسنرى الله جهرة عندما تتغير حواسنا إلى حواس أخرى وتتبدل أجهزتنا بأجهزة أخرى يوم القيامة فنستطيع أن نرى النور .. بعد أن نكون قد أصبحنا جزءاً من النور

الخلق بالصدفة والخلق بالطبيعة

يقول الماديون إن هذا الوجود خلق بالصدفة .. فقد حدث انفجار في مادة ما فتكون بالصدفة هذا الكون .. وإذا سألتهم وكيف خلقت هذه المادة قبل انفجارها .. لا تجد أية إجابة حتى ولو كانت خاطئة .. ثم إن كميات من الماء أصابت صدفة كميات من التراب وتحت ظروف جوية أصابت الكهرباء والضغط هذه الكميات من الطين صدفة .. فحولتها إلى مادة رغوية .. هي مادة الحياة .. وبالصدفة كانت بعض هذه المادة على الشاطىء قريبة من البحر فتكونت منها الأسماك .. وبعضها على الشاطىء قريبة من البر فكونت النباتات .. والبعض بعيدة عن الشاطىء فكونت الإنسان. وأن الصدفة أوجدت أنواع النباتات المختلفة المتباينة الأشكال المتعددة الألوان .. العديدة الطعوم والمذاق .. وأن الصدفة هي التي خلقت للإنسان عيونه في هذا المكان المناسب وأحاطتها بما يحفظها وأن الصدفة هي التي أوجدت كل أجهزة الجسم المختلفة .. وكل ما في الوجود من ملايين الملايين من العوامل

المناسبة للحياة والملائمة للإنسان والتي إن اختلفت في أقل القليل لفسدت الحياة وانتهى الأحياء — ففي جسم الإنسان إفرازات يبلغ تركيزها بضعة أجزاء من المليون جزء إذا زادت بنسبة لا تكاد ترى أو توزن مات الإنسان — وكل هذا الخلق وهـــذا الترتيب خلق بالصدفة .. هذا هو ما يدعيه الماديون .

ولقد بحث العلم هذا القول وناقشه ودرسه وأثبتت فروع العلم المختلفة كذب هذا الادعاء وبطلانه تماماً .. فعلم الرياضة يقرر أن الإنسان لو أخذ عشر ورقات تحمل أرقاماً من واحد إلى عشرة .. ثم خلطها جيداً ووضعها في جيبه مثلا وحاول أن يخرجها من جيبه دون أن ينظر إليها بحسب ترتيب أرقامها .. أي الورقة التي تحمل رقم واحد تخرج أولا ثم التي تحمل الرقم اثنين ثانياً ثم ثالثاً تخرج الورقة رقم ثلاثة بشرط أنه كلما اخرج ورقة أعادها مرة أخرى إلى باقي الورق وخلطها جيداً .. فإن الاحتمال الرياضي الثابت بالأرقام أن إخراج الورقة ذات الرقم واحد أولا احتماله هو واحد من عشرة .. وأما احتمال إخراج الورقة ذات الرقم واحد وتليها في المرة الأخرى الورقة ذات الرقم اثنين هو واحد من مائة .. وأن الاحتمال الرياضي العلمي لإخراج الأوراق الثلاثة الأولى على التوالي هو واحد من ألف .. وأما الاحتمال الرياضي لإخراج العشر ورقات تباعاً من رقم واحد إلى عشرة يبلغ رقماً لا يتخيله إنسان لأنه واحد من عشرة ملايين .. وليحاول كل إنسان هذه التجربة .. ولو بورق اللعب .. أي الكوتشينه ليرى أنه من المستحيل عليه أن يخرج

الأوراق العشرة بنفس ترتيبها من واحد إلى عشرة .. فكيف وأن في الحياة ملايين الملايين من العوامل التي تحفظ الحياة وكلها بترتيب كامل .. ونظام دقيق .. ويا ترى كم من ملايين البشر ولدوا .. وكم يولدون .. وكم سيولدون .. وجميعهم .. ترتيب خلقهم ووجودهم وتناسق أجهزتهم يزيد في كل إنسان على عدة ملايين فالإنسان يحتوي على ملايين الخلايا .. كل خلية تعتبر كأنها ورقة لعب .. أورقة ذات رقم .. وتخرج ملايين الخلايا متناسقة مرتبة .. فكم إنسان خلق .. هل للصدفة بعد ذلك دليل؟.
وهل يقال إطلاقاً عن الخلق بالصدفة .. بعد التجارب العملية ؟..
لقد آمن هؤلاء الذين قالوا عن الخلق بالصدفة .. إن قولهم لم يعد مقبولا حتى من البلهاء فاتجهوا إلى قول آخر .. حيث قالوا إن الخلق إنما تم بالطبيعة .. وإذا سألتهم عن الطبيعة أجابوا إنها قوى عاقلة جبارة ذات قوانين ونظم ثابتة لا تحيد عنهاالحياة .. ولماذا يسمونها الطبيعة .. نحن نسميها الله .. اختلفت التسمية ولكن .. الحقيقة أن الماديين قد اعترفوا بالخالق .. والذي من آثاره هذه القوى العاقلة ذات القوانين والنظم الثابتة .. فلا صدفة .. في الخلق .. بل خلق متعمد بهدف وقصد وبتدبير وإحكام هذا ما وصل إليه الماديون .. وبذلك انهارت أية أقوال عن الخلق من غير الخالق جل شأنه سبحانه وتعالى .

قدرة الله ..

* يسأل البعض لماذا ترك الله سبحانه وتعالى الإنسان يعبد الصنم أليس الله بقادر أن يحطم الصنم فيمنع عبادته .. ؟
* يسأل البعض لماذا جاهد الأنبياء والمرسلون في نشر دعوة الله فأوذوا وقاتلوا وهزموا وكذبوا وصبروا .. واستمروا في جهادهم .. ولماذا لم يجعل الله دعوته تنتشر بلا جهاد ولماذا لم ينصر رسله مباشرة في أول جولة ؟
* ويسأل البعض لماذا يدعو الإنسان للمريض بالشفاء .. فلا يشفى ولماذا يدعو أبناء المحتضر وأهله له بأن ينقذه الله من الموت .. فلا يستجاب .. أليس الله بقادر على أن يشفي المريض .. وينقذ المحتضر بل ويحيي الموتى ؟
* إن قدرة الله سبحانه وتعالى لشيء يعجز أي عقل عن الإدراك ببعض حدودها .. أو تخيل بعض صورها أو الإلمام ببعض طاقاتها .. فكل هذا الوجود .. والكون بوحداته .. إنما يصور في الحقيقة بعض قدرته .. وعندما نتخيل مثلا ..

حجم الأرض التي نعيش عليها والتي نعلم جميعاً شيئاً عن قدرها .. طولها.. وعرضها .. واتساعها وعمقها .. هذه الأرض بقاراتها.. ومياهها..ومبانيها.. وقطاراتها وسياراتها.. وسفنها .. وجبالها .. وناسها .. وحيواناتها .. كل هذا الوزن .. والحجم .. في كرة .. فليتخيل كل إنسان حجمها ووزنها على قدر ما يجتهد .. هذه الكرة .. معلقة في الفضاء .. لا يمسكها إلا بعض قدرة الله .

وتدور هذه الأرض .. حول نفسها .. وحول الشمس .. بسرعة كبيرة .. وتلف .. رغم كل ما عليها .. فلا يسقط من فوقها .. من يعيشون على سطحها .. كيف . ؟ بعض قدرة الله .. ونبني المساكن ونقيم العمارات .. وترتفع الناطحات .. على أرض مستديرة . فكيف يقام البناء على سطح مستدير .. ومهما ظهرت الأرض أمامنا مسطحة مستوية .. فهي مستديرة ∴ كما صورت .. وكل بناء .. وكل قطعة من أرض إنما تشكل في لحظة ، أعلى نقطة على محيط الأرض .. بالنسبة لأي راصد .. ثم تدور .. وتأخذ غيرها مكانها .. فلا تسقط المباني .. ولا تتناثر مياه المحيطات .. ولا ينقذف الأحياء .. خارجها .. إنها بعض قدرة الله .. وإذا نظرنا إلى الكواكب الأخرى وإلى النجوم التي لا تبلغ أرضنا بالنسبة لها شيئاً .. لوجدنا أنها هي أيضاً .. معلقة في الفضاء .. وأنها رغم حجمها .. ووزنها .. الرهيب .. تسير في سرعة كبيرة .. مذهلة .. وبخفة عجيبة .. في مدار محدد .. وإلى قدر مرسوم فكيف نتحدث في معرض قدرة الله على صنم ..

منزوي .. لا يزيد وزنه .. عن حفنة من الرمل وقبضة من التراب .

إن الإنسان عندما اتخذ الصنم معبوداً له .. لم يكن ذلك .. لا شك عن إيمان حقيقي .. أو بفطرة داخلية .. وإنما كان ذلك من عمل الشيطان وكما وسوس الشيطان لآدم وحواء في الجنة .. وأقسم لهما أن أكلهما من الشجرة التي حرمها الله .. سيجعلهما ملكين خالدين .. ويظلا في العبادة .. وفي الجنة .. فاستجابا له فلقد وسوس للإنسان .. كيف تعبد الله مباشرة .. والله هو القوي القادر العظيم .. وأنت العبد الذليل الضعيف .. ارفع عبادتك عن طريق هذا الصنم .. فاتخذه وسيلة .. وبتوالي الزمن.. قد ينسى الإنسان الأصل .. ويظل على عبادة الصنم .. وكل من اتخذ الصنم .. إنما كان لذلك .. فلو أن الله جل شأنه .. حطم هذا الصنم .. بقدرته .. لعاد الإنسان إلى صنع غيره .. دون أن يتضح له فساد عمله .. ولو اختفى الصنم عن ناظر الإنسان يوماً .. لقال له الشيطان لقد ذهب الصنم إلى سمائه .. ولضل .. أكثر .. وإنما أرسل الله سبحانه للإنسان من يبصره .. بالعقل والحكمة والتروي .. فساد ما يعتقد وسوء ما يعمل .. ولما ناقش الإنسان بالعقل والمنطق أمر الصنم .. وما يعتقده فيه .. وجد الخطأ .. ووجد الذنب .. فاستغفر وتاب وأناب .. وبذلك انتهت عبادة الأوثان .. وانتهى زمن الأصنام بالطريقة المثلى .. والتي لا طريقة غيرها .. باقتناع الإنسان بنفسه .. حتى لا يعود إلى ما كان .

* وأما ما كتبه الله سبحانه وتعالى على الأنبياء والرسل من جهاد في سبيل نشر دعوته .. فإنما ذلك لأكثر من هدف .. وأكثر من سبب .. فبالرغم مما وجده الأنبياء من تكذيب وهجوم واعتداء فإن من الناس من اتخذوا الأنبياء أكثر مما هم عليه .. فقد بالغ البعض في قدر النبي ومنهم من اتخذه إلهاً .. ومنهم من اتخذه نصف إله .. وكثرة قالت بأنهم أبناء الله .. فكيف لو جاء النبي بدعوة وانتشرت باليسر والسهولة وما يقوله النبي يجد الانتشار السريع دون جهاد أو نقاش .. وكيف لو دعا النبي إلى دين وفي اليوم التالي استجاب القوم جميعاً له ألا تتغير نظرة الناس للنبي .. ويعدونه .. أكثر من بشر ..

والله سبحانه وتعالى .. خلق الأرض وجعل الإنسان خليفته فيها .. فعليه أن يسعى لعمارتها .. وقيام أمرها كما أراد الله .. فعليه أن يحرث الأرض .. ويعيد الحراثة .. وعليه أن ينثر الحب .. ويرعاه .. وأن يروي الزرع .. ويعاود الري .. كلما احتاج الأمر إلى الري .. وعليه أن يجمع المحصول ويباشر أموره من تخزين أو عرض .. أو تصنيع حتى إعداد وجبة الغذاء .. تحتاج إلى سلسلة طويلة من عمليات كبيرة .. هذا هو أمر الحياة الدنيا جهاد وعمل .. وجد .. وكد .. ولم يخلق الله الإنسان لينزوي ويقبع .. تحت سفح جبل .. أو في بطن واد أو في مسجد .. أو بجوار حائط .. وإنما خلقه ليعمل .. ليعبده عن طريق أداء ما استخلفه عليه .. وبذلك كان جهاد الأنبياء والرسل قدوة للناس ليجاهدوا .. ويبذلوا أقصى طاقاتهم ..

كما أن الإيمان عندما .. تناقش أدلته .. ويظهر المكذبون به ويناقش المتشككون .. فإنما النتيجة التي لا شك فيها .. هو ظهور الحق .. ووضوح الأمر .. فترسي في نفوس الناس آيات الإيمان على قواعد أكيدة وراسخة .. والأديان كذلك .. خلق الله للانسان العقل .. ليناقشها .. ويبحثها .. ويختبرها لذلك أيد الرسل بالمعجزات .. ليعرضها كل إنسان على عقله .. هل يستطيع الإنسان العادي أي إنسان أن يأتي بمثلها .. إذا أمكن فليست معجزة .. وإذا لم يمكن .. كان عليه أن يستجيب لما أتى به النبي فهو مؤيد من الله . .

وحتى لا يدخل في نفس الإنسان اليأس إذا فشل مرة .. فإن فيما قام به الأنبياء والرسل من جهاد .. واضطهدوا وأوذوا .. وحوربوا .. وفشلوا مرة .. وأكثر .. رغم أنهم مؤيدين من الله .. في ذلك الدرس لكل إنسان .. أن يصبر طالما هو على حق .. فإن الحق لا بد .. أن ينتصر في النهاية .

وهذا خاتم الرسل والنبيين .. سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الأمين .. يدعو إلى الإسلام .. وحده في وسط قوم جهلاء .. أقوياء فيحاربوه .. ويأتمروا عليه لقتله .. ويخرجوه من دياره .. ورغم ذلك ينتصر الحق الذي يدعو إليه .. ويصبح الآن وعدد أتباعه ممن آمنوا بدعوة الله إلى الإسلام أكثر من ستمائة مليون مسلم .. في كافة أنحاء العالم .. وما من دولة في العالم .. إلا وبها من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..

* وأما الدعاء للمريض بالشفاء فلا يشفى .. وللمحتضر ألا

يموت فيموت .. فإن سنة الله في الخلق .. أن تتوارث الأجيال. الحياة فيخلف الإبن أباه .. وترث البنت أمها .. فإذا استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء جميع المرضى .. وتم الشفاء لكـــل مريض .. كيف يعيش الناس بعد أن تزدحم بهم الدنيا .. إن كل إنسان لديه مريض يعتقد أنه هو أهم مريض في الدنيا .. ولذلك يدعو له .. وبذلك فإن الدعاء يتم لكل مريض .. وليس في الإمكان أن يعيش الناس جميعاً .. فسنة الله .. في خلقه .. أن يمرض الإنسان ويشفى .. ثم يمرض .. ويشفى .. ثم يمرض ولا يشفى .. وأن كل إنسان .. طال به العمر .. أو قصر .. لا بد أن يذهب حيث يذهب الناس جميعاً منذ آدم .. حتى نهاية البشر .. وليس الموت بالشيء الكريه الذي نخاف جميعاً منه وندعو لأحبائنا جميعاً أن ينقذوا منه .. إن الموت تطور يحمل الإنسان من حياة على هيئة .. إلى حياة بهيئة أخرى .. ومن دنيا بشكلها المعروف .. إلى دنيا بشكل آخر .. إن الموت قد ارتضاه الله سبحانه وتعالى لمن اصطفاهم من خيرة عباده .. للأنبياء والرسل .. فلو كان الموت عدماً .. أو سوءاً .. ما كتبه عليهم وقد اختارهم لنفسه.. يدعون له .. ويبلغون رسالاته .

وأما باقي الدعاء .. فإن الإنسان كثيراً ما يخجل من نفسه .. فكم من مرة .. دعا الإنسان ربه لأمر معين .. وألح في الدعاء .. ثم أسف وحزن .. عندما لم يجد الاستجابة .. وتتكشف الأيام .. فيسجد لله شكراً أن منع عنه ما كان يدعوه له .. فلقد كان شراً لو تم .. وكم من إنسان يدعو .. ثم بعد برهة يدعو بعكس

ما كان يدعو .. إن الخير .. والشر .. لا يعلم الإنسان حقيقتهما بالنسبة لحاضره أو مستقبله فلنعمل الخير .. وندعو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير .. كما يريد .. وكما يرى سبحانه وتعالى .. وخير الدعاء هو ما علمنا به القرآن في سوره المختلفة .. مثل ؛ :

(رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذنَا إن نسِينَا أَو أَخْطَأنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحمل عَلَيْنَا إصراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِنَا رَبّنَا وَلاَ تُحَمِّلنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعفُ عَنَّا واغفِر لَنَا وَارحَمنَا أَنت مَولاَنَا فَانصُرنَا عَلَى القَـــوم الكَافِرِينَ) .

(٢٨٦ سورة البقرة)

(رَبّنَا لاَ تُزِغ قُلُوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحمةً إنَّكَ أَنتَ الوَهّابُ) .

(٨ سورة آل عمران)

(رَبّنَا إنّنَا سَمِعنَا مُنَادِياً يُنَادِي للإيمان أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبّنَا فَاغفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّـــا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مع الأبْرارِ . رَبّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إنّكَ لاَ تُخلِفُ المِيعَادَ) .

(١٩٣ – ١٩٤ سورة آل عمران)

(رَبَّنَا افتَح بَينَنَا وَبَينَ قَومِنَا بِالحَقِّ وأنتَ خَيرُ الفَاتِحِينَ) .

(٨٩ سورة الأعراف)

(رَبَّنَا اغفِر لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِلمُؤمِنِينَ يَومَ يَقُومُ الحِسَابُ) .

(٤١ سورةإبرهيم)

(رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلنَا وَإِلَيكَ أَنَبنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ . رَبَّنَا لا تَجعَلنَا فِتنَةً لِلذينَ كَفَرُوا وَاغفِر لَنَا رَبَّنَا إنَّكَ أَنتَ العَزِيزالحَكِيمُ) .

(٤ — ٥ سورة الممتحنة)

وأما إذا أراد الإنسان أن يدعو الله في أمر من أمور الدنيا وفي عرض من أعراضها .. فليطلب الخير منه جل شأنه في هذا الأمر .. فإذا رغب أن يسافر إلى جهة ما .. أو يتزوج بإنسانة ما .. فليقل لربه اللهم إن كان في هذا الأمر الخير فاقسمه لي .. وإن كان شراً فاصرفه عني .. وهكذا يطلب من الله جل شأنه وهو القادر المقتدر أن يكتب له الخير الذي يرجوه كل إنسان في أمور دنياه .. فكم من إنسان ظن أن في زواجه بمن رأى من ذوات الحسب والنسب والجاه المال الخير كل الخير .. فدعا الله وألح في الدعاء .. وجاهد على قدر ما استطاع .. ولما لم تكن من نصيبه وتزوجت بآخر .. ظهرت الحقيقة في أنها شر كل

الشر .. فقد اتعبت زوجها .. بما عندها .. وأرهقته بما يزيد من مالها .. والأمثلة واضحة في كل أمور الإنسان .. فلا يعرف الإنسان الخير .. ولا يدرك الشر .. إلا بعد وقوعه .. فلنسأل الله سبحانه وتعالى الخير .. كل الخير .. ولنرض تماماً لكل ما قسمه الله سبحانه وتعالى .. ففيه الخير .. فلا يقع في ملك الله إلا ما يشاء .. وما يشاء ربنا إلا الخير .

بين الذات والصفات ...

يسأل بعض الأطفال في براءة وسذاجة عن أمور في الإيمان ويرددها غيرهم من الملحدين إثارة للشك .. وترجع كل هذه الأسئلة إلى ظنون خاطئة وتصورات باطلة .. منها :

* إذا كان الله هو الخالق لكل ما في الوجود فمن خلق الله ؟

سؤال دائم التردد بين الأطفال .. وبعض الكبار .. وإن من يسأل هذا السؤال إنما يظن أن الله يجري عليه ما يجري على الوجود من عدم وخلق .. فكل مخلوق .. إنما وجد من عدم .. فالخلق صورة من صور العدم .. ومن أوجد الخلق والعدم .. لا يجري عليه يقيناً ما أوجده بنفسه فالله خالق غير مخلوق .. وموجود .. لا يجري عليه العدم .. ولأن الخلق حادث وقع .. وبدأ من لحظة ما .. فإن محدثه .. كان قبله يقيناً .. فقبل أن يحدث الخلق .. ويقوم .. كان الله .. فهو قبل الخلق . وهو الذي أوجد الخاق .. فلا يسري عليه بذلك حادث الخلق .. لأن الخلق

حادث جديد .. وكان الله من قبله .. فالله سبحانه وتعالى هو الخالق .. وهو كان قبل قيام أي خلق .. وهو الذي شاء بالخلق وأراده .. فهو خالق .. غير مخلوق ..

* ويسأل البعض .. هل ينام الله ؟ . وكيف لا ينام ؟. طوال هذه الأجيال والآماد ؟

وهذا السؤال وأمثاله إنما يرجع إلى تصور السائل أن لله سبحانه وتعالى ذاتاً يجري عليها ما يجري على ما نعرفه عن الذات من تعب . . وكد .. وحاجة إلى راحة .. ونوم .. والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء .. وكل تخيل لله .. وكل تصور لذاته .. يجب أن نستغفر الله .. عنه .. ولذلك فعندما سأل البعض في عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذات الله .. .. دعاهم إلى التفكر في صفات الله .. والبعد عن التفكر في ذات الله .. فإن التفكر في ذات الله إشراك .. والتفكر في صفات الله إدراك .. فليس لله جسم فيحتاج إلى غذاء أو نوم .. وقد سأل القوم على عهد سيدنا موسى .. عن نوم الله .. وكيف ينام .. أو كيف لا ينام .. فأوحى الله سبحانه وتعالى لسيدنا موسى أن يمسك بيده زجاجتين .. في كل يد زجاجة .. ثم أرسل عليه النوم .. فنام سيدنا موسى .. وبمجرد أن أخذته سنة النوم .. تهاوت يداه .. ووقعت الزجاجتان .. وتحطمتا .. واستغفر موسى ربه .. وتاب وأناب .. إذ كيف ينام من يمسك السماوات والأرض .. بقدرته .. وعظمته .. ومن يدير الكون .. ويقيم شأنه ؟ . إذ نام .. فالله جل وعلا .. لا تأخذه سنة ولا نوم .. ولا يتعبه

أمر .. أو يجهده شأن .. تقوم السماوات عالية مرتفعة .. وتدور الأرض .. حول محورها ، وحول الشمس .. وترتفع الجبال .. وتندفع الأمواج وتهب الرياح .. ويلمع البرق .. ويتصايح الرعد .. وكل من وما في الوجود إنما يقع .. بإرادة الله دون أن يأخذ منه الأمر شيئاً .. فمشيئته تتم .. بقوله كن .. فيكون .. وقوله كن .. لا يأخذ شيئاً .. فإرادته هي ما بين الكاف .. والنون .. فلا نوم .. ولا راحة .. ولا غذاء .. ولا شراب .. لأنه الله .

وبذلك فإن صفاته لا تشير إلى وجود ذات وإنما لتدل على بعض قدرته وعظمته .. وما ورد من صفات فهي من غير جنس ما نعرف ونعهد .. فالله هو الأول .. وليس معنى الأول أنه كان هناك ما يسبقه من حادثات أو وجود .. فليس قبله شيء .. وما من شيء إلا وكان الله قبله بل هو الذي أوجد كل شيء .. وهو الآخر وليس معنى ذلك أن هناك آخر له .. بل إن كل ما في الوجود فالله بعده .. وهو الظاهر .. ليس بذاته .. أو بشكله .. ولكن ظاهر في آيات تدل على وجوده .. وفي شواهد تـــدل عليه .. بصورة ظاهرة لكل من يرى .. وهو الباطن في كل داخل تجد آثاره .. داخل الذرة بل داخل الكهرباء التي تتكون منها الالكترونات والبروتونات التي تتكون منها الذرة .. هو حي ولكن ليس من جنس ما نعرف من حياة .. تقوم على الغذاء والهضم والنمو . سميع ولكن بلا أجهزة سماعية .. ومن غير طريقة ما نسمع . فكل صوت أو حركة إنما تتم وفق مشيئته فهو

يسمعها قبل أن تقع .. وهو العليم .. عليم بكل أمر .. ما كان وما يكون .. وما سوف يكون .. وما لم يكن .. يعلم قبل الأمر .. ويعلم ما يكون عليه الأمر .. فعلمه ليس من جنس ما نعلم .. فلم يكن في وقت إلا وهو العليم .. لم يكتسب علماً .. ولم يزدد علماً .. إنما العلم كله بعض ما أراده للعالم من بعض علمه .. وبذلك فإن صفاته الواردة ليست مما تجعله بصفات لها المثيل .. أو الشبه .. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً فليس كمثله شيء .. ولا شبيه له .. شبهاً قريباً .. أو بعيداً .. ووجه الله كما ورد في القرآن الكريم لا يعني أن لله وجه .. وإنما وجه الله هو وجوده .. فكل ما في الكون وجود الله فيه .. ولذلك فأينما نتجه .. نجد وجه الله .. أي وجوده .. وكذلك يد الله .. لا تعني اليد .. أيا كانت شكلها .. وإنما تعني قدرة الله .. وقوته .. القدرة التي لا توصف والتي يتفرد الله بها .. وهكذا في كل الصفات إنهـــا تشير إلى قدرته وعظمته .. وحكمته وتدبيره ووجوده في كل مكان .. وقبل الزمان .. وقبل المكان وبعد الزمان .. ولا تشير إلى ذات له كما يدعي خصوم الإسلام إذ يقولون إن القرآن الكريم قد أورد تعبيرات عن الله بمصطلحات بشرية وصفات إنسانية .. وإنما تشير إلى بعض صفاته التي يتفرد بها والتي إن اتفقت في اللفظ مع ما نعهد فإنها تختلف عنها في الجوهـــر اختلافاً تاماً .. يماثل اختلاف الخالق .. عن المخلوق .. اختلاف الله عن العبد .. فعندما يتدبر الإنسان لفظ القادر .. فيجب أن يستحضر في ذهنه .. قدرة الله في خلق هذا الكون على اتساعه

الرهيب وعدد وحداته .. العجيب .. وقيام نظامه الفريد .. ودوراته واتزانه .. وتناسقه .. ووجود هذه الوحدات معلقة في الفضاء بقدرته .. لملايين الملايين من السنين .. ومدى حرارة ما فيها من نجوم وأجرام .. وقدر ما في الأرض وأمثالها من الكواكب من أرزاق وكنوز .. وما في الكون من هواء وماء .. ويجب أن يتخيل في القدرة.. القدرة التي تشمل بالرعاية والعناية كل ما في الوجود من خلق .. الإنسان والأحياء على الأرض .. والأسماك والكائنات في البحر .. والطيور والحشرات في الجو .. والديدان واليرقات داخل الأحجار .. وتحت الأرض .. المخلوقات في الكواكب الأخرى .. والأحياء في ملايين الأراضي .. والنجوم والشموس .. وكل ذلك منذ بداية الخلق .. حتى النهاية .. ولا يشغل الله هذا الأمر .. ولا تعني ذلك في قدرته شيئاً .. هذا هو القادر .

* وعندما سأل البعض لماذا خلق الله الإنسان .؟ .. وجاء رد بأن الله كان كنزاً مخفيا فأراد أن يعرف .. ولذلك خلق الإنسان .. سألوا .. ولماذا أراد الله أن يعرف ؟ ..

والمتدبر لأمر هذا الوجود يجد حقيقة لا تحتاج إلى إيضاح أو تأكيد وهي أن الإنسان هو الكائن الوحيد .. والمخلوق الوحيد .. الذي يكفر بعضه بالله .. ويعصي بعضه الله.. وكل النوع الإنساني يجادل .. ويناقش .. ويكذب .. ويعارض .. وصدق الله العظيم الذي يقول عنه ..

(وَكَانَ الإنسانُ أَكْثَرَ شيءٍ جَدَلاً)
(٥٤ سورة الكهف)

لم يخلق نفسه .. ولم يخلق غيره .. بل خلقه الله .. ثم يسأل .. من خلقني .. ومن خلق الله .. خلقه الله وهو العالم بما يصلحه .. ويفسده .. فإذا أمره بأمر .. ونهاه عن أمر .. سأل .. ولماذا أفعل .. ولماذا لا أفعل دبر الله شئون الحياة .. وحتى تقوم .. جعل الزارع .. والصانع .. والتاجر .. الغني الذي يسعى على ماله .. وجعل الفقير الذي يستخدمه الغني بماله .. وكل ذلك .. لتكون الحياة للناس سهلة .. طيبة ميسرة .. لو كان الناس جميعاً أغنياء من يقوم بالعمل .. ولو كان الناس جميعاً فقراء .. بماذا يعملون .. وبالرغم من ذلك يقف الإنسان ليسأل .. لماذا هذا غني .. ولماذا هذا فقير .. فليس الإنسان بالكائن الذي أراد الله أن يعرف به .. ولماذا يريد الله جل شأنه أن يعرف ؟. أليس ذلك من الظن الخاطىء .. والتصور الباطل الذي نظن الله عليه .. ونتصوره في الله .. إن الله سبحانه وتعالى أجل وأعظم وأكبر .. من ذلك .

إن الله .. الذي وصف نفسه بالرحمة .. الغامرة .. فهو الرحمن الرحيم .. والمغفرة الواسعة .. فهو الغفار وهو الغفور .. هو اللطيف .. هو العظيم .. هو الكريم .. إن صفات الله كلها .. لتشير إلى أنه جل شأنه إنما خلق الإنسان محبة له .. ورحمة منه .. وشفقة عليه .. أراد أن ينعم النوع الإنساني ويسعده .. خلق آدم وحواء .. وقبل خلقهما خلق لهما الجنة .. فيها آلاف الشجر ..

وفيها كل المتع .. لا جوع فيها .. ولا عري .. لا عطش ولا حر .. وعندما أنزلهما إلى الأرض .. جعل من الأرض مقراً جميلا .. للنوع الإنساني .. فيها كل ما يحتاجه الناس .. زادت أعدادهم .. وتكاثر نسلهم .. ولا تضن عليهم الأرض بخيرها الذي أودعه الله فيها .. لسعادة الناس .. خلق الله .. النسيم العليل والهواء الجميل .. الصيف اللطيف .. والشتاء اللذيذ .. الربيع الدافىء ، والخريف الطيب .. خلق للإنسان بلابل تشدو .. وطيوراً تغرد .. أبدع لوحات في السماء .. تجل عن الوصف وتفوق الخيال .. أفق أحمر .. وسحاب داكن .. قمر ساطع .. وشمس تغيب .. خلق له ملايين الأنواع والأصناف من مختلف النباتات والأشجار .. كلها ذات طعم جميل .. ورائحة طيبة .. وشكل لطيف .. ومذاق رائع .. كل ذلك حتى يسعد الإنسان .. وكل هذه الحياة الدنيا – إنما صورة باهتة ومهتزة للحياة الأخرى التي ينتقل إليها الناس بالموت .. ففي الثانية سعادة غامرة .. ومتعة شاملة .. أكثر مما في الأولى مئات المرات .. وهذه الحياة الأخرى .. إنما هي السبيل إلى حياة القيامة .. حياة الإنسان بالنور مع النور .. وذوبانه في النور الأعلى .. وهكذا خلق الله الإنسان ليمتعه ويسعده .. خلقه محبة له . . ومحبة منه . .

عن الإسلام

عن المعجزات والسيف

* تتساءل بعض الكتب المعادية للإسلام .. إذا كانت المعجزات هي برهان الرسالات السماوية بنصوص القرآن الكريم فلماذا لم تقدم العقيدة الإسلامية للناس المعجزات.. بدلا من أن تفرض نفسها بالسيف ؟ .

لاجدال في أن المعجزات هي برهان الرسالات السماوية وأن الله سبحانه وتعالى قد أيد كل رسول بالمعجزة التي تناسب القوم الذين أرسل لهم .. حجماً .. وعلماً .. ومعرفة .. ولا خلاف في الرأي عن نوعية المعجزات التي أيد الله بهاجل شأنه رسله الذين أرسلهم في الحقبة الأخيرة.. أما معجزات الأنبياء السابقين على رسل الأديان الأخيرة .. فلأن القرآن الكريم لم يذكرها فإن أحداً لا يعرف عنها شيئاً .. ولا شك أن المعجزات التي تتساءل عنها الكتب المعادية والتي لم تتأيد بها العقيدة الإسلامية هي المعجزات المادية .. والتي كانت للرسل السابقين ..

والمعجزات المادية .. معجزات محدودة بزمانها .. محصورة

فيمن رأوها .. بل إنه حتى من رأوها .. فإن منهم من يناقشها . وقد ينكرها ودائماً هذه المعجزات المادية التي يراها الناس وتتناقلها الأجيال بعدهم عن طريق النقل والرواية لا بد من الاختلاف بعد ذلك في شأنها .. بل لا بدكذلك من الاختلاف في صياغتها .. بل وفي حقائقها .. وإن أقنعت هذه المعجزات فتقنع قلة في عهدها .. ثم تهاجم وتكذب بعدها .

فهذا سيدنا موسى كانت معجزاتهفي عصاه التي يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه .. فإذا ألقاها على الأرض انقلبت كأنها حية تهتز وتسعى .. وكان السحر مما يتفوق به قوم موسى .. ولكن هل من يمكنه أن يجاري موسى ..إنه أطلق عصاه على حبالهم التي كانت من سحرهم للناس يتخيلون أنها تتحرك فأخرستهم وبهتوا بما فعلت وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(قَالَ لَهُم مُوسَى أَلقُوا ما أَنتُم مُلقُونَ فَأَلقَوا حِبَالَهُم وَعِصِيَّهُم وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرعَونَ إِنَّا لَنحنُ الغَالِبُونَ . فَأَلقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأفِكُونَ) .

(٤٣ — ٤٥ سورة الشعراء)

ولكن ماذا كان موقف قومه بعد ذلك .. يقول القرآن الكريم :

(وَلَقَد جَاءَكُم مُوسَى بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذتُم

العجلَ مِن بَعدِهِ وَأَنتُم ظَالِمُونَ) .
(٩٢ سورة البقرة)

وهذا سيدنا عيسى يشتهر قومه بالطب والعلاج فيخرج إليهم ويعلن لهم أنه يصنع تمثالا للطير من الطين وينفخ فيه فيصبح بإذن الله الذي أرسله وأيده طيراً حياً .. ويعالج من لا علاج له .. بل إنه يحيي الموتى بإرادة الله وإذنه ويكشف لهم ما عندهم. وهذه معجزات مادية تؤكد انه مرسل من الله سبحانه وتعالى وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم على لسان سيدنا عيسى لقومه :

(أَنِّي أَخلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ فَأَنفُخُ فيهِ فَيَكُونُ طَيراً بِإِذنِ اللهِ وَأُبرِىءُ الأَكمَهَ وَالأَبرَصَ وأُحيِي المَوتَى بإذن الله وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ في بُيُوتِكُم إنَّ في ذَلِكَ لآيَةً لَكم إن كُنتُم مُؤمِنينَ) .
(٤٩ سورة آل عمران)

فماذا كان موقف قومه منه .. افتروا على أمه العذراء .. وكفروا به .. وتآمروا على قتله حتى ظنوا أنهم قتلوه فعلا .. بقتلهم من ألقى الله شبهه عليه .. وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَبِكُفرِهِم وقَولِهم عَلَى مَريَمَ بُهتَاناً عَظيماً .

وَقَوْلِهِم إنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَرْيمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قتلوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ) .

(١٥٦ — ١٥٧ سورة النساء)

وهكذا الشأن في الرسل السابقين على الأديان الأخيرة فهذا سيدنا نوح ظل في قومه يدعوهم إلى الحق مدة ألف سنة إلا خمسين عاما بالنص الكريم :

(وَلَقَد أَرسَلنَا نُوحاً إلى قَومِهِ فَلَبِثَ فِيهِم أَلفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمسينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمونَ)

(١٤ سورة العنكبوت)

أما عدد من آمن معه فلكل إنسان أن يتمثل هذا العدد القليل إذ يقول القرآن الكريم :

(وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) .

(٤٠ سورة هود)

هذه المعجزات المادية التي استهدفت إيمان من يعاصرونها ويتابعونها أيد الله بها سبحانه وتعالى رسله الذين أرسلهم إلى أقوامهم خاصة ولم يرسلهم للناس عامة .. فإن من يرسل للناس جميعاً لا يمكن أن يؤيد بمعجزة مادية لا تتجاوز أثرها المحيط المرئي الذي وقعت فيه .. إذ لا بد أن تكون معجزته مما يمكن للناس في كل مكان أن يؤمنوا بها حتى هؤلاء البعيدين جداً عن مكان وجود النبي المرسل .

كما أن المعجزات المادية إنما تخص الزمان الذي أرسل النبي فيه لقومه إذ بعده يكون أمرها قاصراً على تداول أنبائها .. وما أيسر أن يكذب المتشكك هذه الروايات أو على الأقل يشك في قدر صحتها .. أما من يرسل للأجيال كلها فلا بد أن تكون معجزته .. من غير جنس المعجزات المادية .. حتى تراها الأجيال بعد زمن النبي .. وإلى آخر العهد بالحياة الدنيا ..

وهذا ما حدث فعلا لسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله أيده بمعجزة تعرض على الناس جميعاً .. وتصلح للأجيال كلها .. معجزة لا يمكن أن يرقى إليها شك .. أو يظن أنه يمكن بأي قدرات الوصول إلى مثلها .. تتداولها الأيدي. وتناقشها العقول .. وتطمئن لها القلوب .. في كل مكان .. وفي وفي كل زمان .. انزل الله سبحانه وتعالى على آخر رسله وخاتم أنبيائه الذي أرسله للناس كافة وللعالمين بشيراً ونذيراً.. القرآن الكريم .. المعجزة الخالدة التي تتداول نسخها الأيدي في كل أنحا ء العالم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان حتى الآن وما زال كما هو .. مقنعاً بما جاء فيه .. معجزاً بما احتواه .. الطفل الصغير الذي ما زال دون الحلم يجد في يسر حفظه له واستحالة حفظ ربع أو أقل من ذلك من أي كتاب غيره .. معجزة وأي معجزة. والجاهل الأمي تعتريه الخشية ويظهر عليه الخشوع بمجرد الاستماع إلى تلاوته .. والعلماء يرون فيه أمراً عجيباً وشيئاً فريداً .. فالقانوني يعترف أن ما به من تشريعات وقوانين يجعله من المؤكد فوق مستوى البشر في إعداده ..

وعلماء الفلك والطب والكيمياء والنبات والاقتصاد قد أثبتوا أن ما به من أصول المعرفة .. وحقائق العلم .. قد فاق كل ما وصل وما تصل إليه أبحاثهم وسابقاً بعشرات المئات من السنين.. وأهل لغة القرآن آمنوا به .. عندما وجدوا أنه يتكون من حروف لغتهم ولا يماثلها . عجباً.. وأي عجب .. وكل هذا إن أخرجه مؤتمر عالمي ضم العلمـــاء والمتخصصين في وقت أن تلي على الناس أولا لكان معجزة .. فكيف وقد تلاه فرد واحد .. بل وكيف .. وهذا الفرد .. لا يقرأ ولا يكتب ..! أليست هذه هي قمة المعجزات .. بل ومعجزة المعجزات .. فبعد أربعة عشر قرنا من الزمان .. ما زال القرآن معجزة .. وسيظل كذلك إلى نهاية الزمان .

أما عن انتشار الإسلام بالسيف .. وعد الغزوات وإحصاء السرايا فيهدم هذا الزعم وجود الإسلام في روسيا والصين واليابان والباكستان والحبشة وجنوب أفريقيا وأمريكا وانجلترا . وما ذكر الخصوم إطلاقاً أن المسلمين اتجهوا كجماعات إلى هذه البلاد غزاة أو فاتحين . وألا ترى أي قوة تلك التي غزت العالم من شماله إلى جنوبه ومشرقه إلى مغربه ؟ وما قول الخصوم فيمن اعتنقوا الإسلام أمس .. واليوم .. من مختلف القارات ... وبعيد الأمصار ؟ . لا أظن أن هناك من يقول أن ذلك تم بالسيف أو الضغط أو الإرهاب .. ولماذا لم نسمع عن مسلم كفر أو خرج من إسلامه رغم تعدد وسائل الترغيب..وسبل الترهيب؟.

في العبادات الاسلامية

* يسأل بعض الخصوم عن الحكمة في تيمم المسلم بالتراب عند الصلاة وألا يتعارض ذلك مع أسباب نظافة الإنسان ؟

الوضوء لا يهدف كما يظن البعض إلى نظافة الأعضاء ظاهرياً فقط .. بل إنه يهدف قبل ذلك إلى أن يتخذ الإنسان موقف الاستعداد للقاء الله سبحانه وتعالى بأن يطهر قلبه وعقله ونفسه وينظف داخله كما ينظف كافة أعضائه التي يمكن أن تكون قد علقت بها الشوائب المادية التي تزول بالغسيل أو الشوائب المعنوية من ذنوب أو نسيان والتي يتجرد منها الإنسان بالاستغفار والذكر والدعاء الذي يتم أثناء الوضوء والمعروف أن الإنسان إذا دعي إلى لقاء كبير فإنه يتخذ موقف الاستعداد لهذا اللقاء .. فلا بد أن يغسل يديه ووجهه .. ويحلق ذقنه ويرجل شعره ثم يلقي نظرة سريعة على هندامه فيصلحه الى اقصى قدر ممكن ويرسم على وجهه مسحة هدوء شاملة وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة .. وفي آخر لحظة قبل اللقاء نجده بحركة لا إرادية يتحسس رباط عنقه ويلم أطراف ردائه .. ليطمئن على سلامة

مظهره .. وعلى قدر قيمة اللقاء ودرجة الذي سيلتقي به الإنسان يكون قدر اهتمامه واستعداده لهذا اللقاء .. فكيف بالإنسان يا ترى وهو يستعد للقاء الكبير والذي لا كبير مثله .. للقاء الله عز وجل ؟ .

إن الوضوء بذلك يحقق نظافة الإنسان الداخلية بطريق معنوي والخارجية بطريق مادي بالماء .. فإذا لم يتيسر الماء .. أو تيسر وكان في استعماله الضرر للإنسان لمرض أو غيره . فكيف يتم الأمر .. وكيف يستعد الإنسان للقاء الله .. سبحانه .. وكيف ينظف داخله وخارجه .. لقد أجاز الإسلام للإنسان في هذه الحالة أن يتيمم بالتراب حرصاً على نظافة الإنسان وشحنا لطاقاته النفسية وذلك بنص الآية الشريفة :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا أَوْلَامَسْتُمُ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ منه مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

(٦ سورة المائدة)

والمتدبر للآية الشريفة يجد أنها أشترطت للتيمم أن يكوى بصعيد وطيب .. أي الغبار الطاهر الجاف الذي لم يعلق به ما يجعله غير طيب .. وأن يكون من الخفيف الذي يعلو الحجر أو ما شابهه وبذلك يتحقق لهذا الغبار وقوعه تحت أشعة الشمس وحركة الهواء .. وهو ما يجعله نقياً نظيفاً .. وهذا الغبار بهذه المواصفات هو ما نستنشقه في كل حركة تنفس وهو ما نراه سابحاً في الهواء عالقاً به ويحط على وجوهنا وأيدينا ويدخل في أفواهنا وهو ما نراه دائماً على متاعنا وأرديتنا وفراشنا .. فهو مادة نقية وطاهرة .. وموجودة علينا فعلا .. وعندما نحصل عليها بضرب كفوفنا على ما يعلوه هذا الغبار ونمسح به وجوهنا وأيدينا وقد اعتزمنا الصلاة .. فإنما نكون قد حققنا بعملية إيجابية عملية الاستعداد للقاء الله .. في الصلاة .. بمادة تشابه الماء .. وعلى درجته من النقاوة والطهارة .

* ويسأل البعض في نشراتهم التي يهاجمون فيها العبادات عن الهدف من تكرار فاتحة الكتاب في كل صلاة خمس مرات في اليوم والليلة وعن تحديد موعد محدد للصلاة .. دون اطلاقها في أي وقت حسبما يحتاجها الإنسان .. وكذلك في اتجاه المصلين إلى جهة واحدة .. وبذلك يتحدد الجهة التي يقفون فيها للقاء الله .. . وكأن بذلك يتحدد اتجاه لله ؟

إن فاتحة الكتاب كما يرتلها المسلمون . عبارة عن حمد وشكر ودعاء لله .. والصلاة في كل دين عبارة عن حمد وشكر ودعاء .. وبذلك فإن فاتحة الكتاب هي لب الصلاة عامة في كل

دين .. وألفاظها هي ما تهدف إليها الصلاة عموماً .. أما موعد الصلاة .. فإنه يستمر طوال الليل والنهار .. فإذا ناقشنا أوقات الفريضة نجد أن وقت كل فريضة يمتد إلى ما قبل الفريضة التالية .. وبذلك نجد أن طوال الليل والنهار أوقات الصلاة قائمة.. كما أن الإنسان يستطيع في أي لحظة وأينما كان أن يؤدي ما يريد من صلاة .. سواء أكانت صلاة شكر أم استغفار .. أم قربى إلى الله .. أم صلاة للغير .. أما اتجاه المصلين إلى جهة واحدة .. فإن هذه الجهة هي جهة الكعبة الشريفة التي يحج الناس إليها .. والمسلمون يؤمنون تماماً كما علمهم القرآن الكريم أن الله في كل مكان.. وأنه أينما اتجه الإنسان فإن الله أمامه.. وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم .:

(وَلِلَّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ فَأَينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجهُ اللهِ إنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

(١١٥ سورة البقرة)

وعندما يتجه المسلمون في صلاتهم أينما كانوا من العالم إلى الكعبة . فإنه يتحقق لهم وحدة في الصف ووحدة في الهدف .. ويسود المصلين النظام والتناسق .. وإلا كيف يصلي الناس في جمع وقد وقفوا متدابرين أو متقابلين .. فهذا يقف ووجهه إلى الشرق وأمامه من يقف ووجهه إلى الغرب وهذا وقف واتجه إلى الشمال وأمامه من اعترضه واتجه إلى الجنوب .. ولكن عندما يدخل المصلي إلى المسجد أو يقف في العراء .. أو يصلي

في بيته .. إنه يعرف الاتجاه الذي يتجه إليه .. وعندما يجتمع شمل المصلين في جماعة .. لا خلاف .. ولا جدال في الاتجاه. وهل يتم أي جمع في أي مناسبة .. إلا وينظم جلوسهم أو وقوفهم .. متجهين جميعاً إلى جهة واحدة .. هكذا يسبق الإسلام بنظامه وأهدافه كل محاولات يراد بها أي تنظيم أو تنسيق أو تحقيق لأهداف يصلح بها الفرد والجماعة .

• ويتساءل خصوم الإسلام وأعداء الأديان عن حكمة الطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الأسود ورمي الجمرات مستهدفين إثارة الشك في شعائر الحج وإظهارها وكأنها امتداد لوثنيات العرب .

إن الثابت المؤكد أن تاريخ الكعبة لا يرتبط بقوم من الأقوام أو بدين من الأديان فهي أبعد وأقدم مما قد يظن فهي سابقة على الأديان المعروفة .. فسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو أبو الأنبياء والجد المعروف للسلسلة الطاهرة من الرسل أرشده الله سبحانه وتعالى إلى مكان الكعبة الشريفة بالنص الكريم

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالقائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجودِ)
(٢٦ سورة الحج)

وبذلك رفع سيدنا إبراهيم الكعبة وذلك بالنص الشريف :

(وَإِذْ يَرْفَعُ إبرَاهيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإسماعِيلُ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) .

(١٢٧ سورة البقرة)

أي أن أساس الكعبة كان موجوداً والبناء الأصلي لها كانت قواعده واضحة على عهد سيدنا إبراهيم ولا شك أن سيدنا إبراهيم رفع هذه القواعد بعد طوفان سيدنا نوح الذي لم يؤثر في قواعد البيت أو أساسه وبذلك فالكعبة سابقة أيضاً عهد سيدنا نوح . ومن ذلك يتضح وجاهة الرأي الذي يقول أن الكعبة إنما بنيت على عهد أول البشر آدم وأن ذلك هو التفسير للآية الكريمة :

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى للعالَمِينَ) .

(٩٦ سورة آل عمران)

ولا شك أن الملائكة هي التي بنت الكعبة أو على الأقل شاركت آدم في إقامتها وأن آدم قد تعبد بالطريقة التي تلقاها من ربه فيها .. والتي فيها الطوف حولها الذي يعتبر بذلك اقدم عبادة للبشر فليس الطواف بذلك من عمل العرب وحدهم أو في وثنيتهم .

والمتدبر لحقيقة الطواف حول الكعبة يجد أنها عملية يستجيب فيها الإنسان لطبيعته ويماثل بها كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى من وحدات تطوف وتسبح دائماً حول مركز موحد منه تبدأ طاقات الوجود وتستمر بحيث نجد أنه حتى بعيداً وخارج

وحدات الكون توجد القوى التي تحافظ على هذا الوجود .. فالكهارب داخل الذرة التي تعتبر هي الوحدات الأولى التي تتكون منها المادة .. نجدها في حركة سبح وطواف حول مركز في نواتها يعتبر هو الصفر المطلق .. إذ لا وجود لما قبله ...هذه الكهارب الطوافة التي تسبح إنما يتكون منها كل مادة في الوجود فكأن بذلك وحدات المادة تطوف وتسبح .. وإذا نظرنا إلى ما هو أكبر .. وجدنا الأرض كلها بما عليها .. تطوف وتسبح .. فكأن الإنسان كذلك والدواب والشجر والجبال كلها تسبح مع الأرض .. وهذه الأرض بما عليها هي وحدة في مجموعة شمسية كلها تسبح وتطوف حول ما هو أكبر منها .. والمجـرات والأفلاك البعيدة كلها أيضاً تطوف وتسبح .. بحيث يشمل الوجود كله حركة تسبيح وطواف .. لذلك فإن الطواف حول الكعبة الشريفة .. التي أراد لها أن تكون أول بيت يعبد فيه الإنسان ربه .. إنما هو تماثل لما تطوف به الوحدات الصغرى .. والكبرى .. ولذلك يحس الإنسان وهو في سعيه وطوافه أنه قد استجاب لطبيعته وأصبح على فطرته . .

أما الحجر الأسود فهو حجر يختلف عن أي نوع من الأحجار الموجودة في هذه المنطقة ولذلك قال الخصوم عنه أنه حجر سقط من النيازك وهذا كل ما يميزه في نظرهم .. ولاشك أنه افتراء منهم وإلا فأين نجد في العالم ما يماثله حجماً ولوناً .. وأين ما يشابهه فيما فيه من أسرار إن هذا الحجر لمسه ملايين الملايين من البشر منذ أن قامت الكعبة حتى الآن.ويتدافع المسلمون لتقبيله لدرجة تجعل الشفاه وكأنها تلامس بعضها البعض لسرعة المقبلين وازدحامهم . وقد كان ذلك موضع بحث علمي إذ

قامت بعض البعوث العلمية من غير المسلمين بعملية فحص معملي بكتر يولوجي للطبقة الظاهرة التي يتلامسها ويقبلها الناس فما وجدوا إطلاقاً أي آثار ولو طفيفة لأي ميكروب .. وهو ما يخالف طبيعة الأشياء التي تكون دائماً موضع الزحام ناهيك باللمس والتقبيل .. لذلك ليس من العجيب أن يقال إن هذا الحجر من أحجار الجنة وقد كان سقف الجنة من أحجارها فرفع السقف وبقي هذا الحجر .

وعندما يتهيأ الإنسان لأداء فريضة الحج فإنه أولا يعد نفقته التي سيحج بها والتي لا بد أن تكون من حلال مطلق ليس بها أية شبهة أو أثر لريبة .. كما أنه وقد نوى أداء هذه الفريضة فإنه يحاسب نفسه على ما عنده .. وما عند الغير له .. وما عنده للغير .. ويستسمح من أساء إليه .. ويرد ما أخذه بدون وجه حق .. ويذهب إلى بيت الله .. نظيفاً طاهراً .. قد تجرد من ثيابه التي تميزه على غيره .. فجميع الحجاج يرتدون رداءاً موحداً .. متشابهاً .. لا زينة فيه .. ولا تفاخر به وهناك لا بد من التحلل من كل ذنب .. والدعاء بالمغفرة من كل إثم .. إن الشيطان للإنسان بالمرصاد .. وقد تراءى الشيطان لسيدنا إبراهيم وحاول أن يصرفه عن الاستجابة لما أمره الله به .. وتراءى لسيدنا اسماعيل وحاول كذلك أن يجعله يعصي أمر أبيه .. ولكن كان إيمانهما بربهما أقوى .. وطاعتهما لله .. أمتن .. وحتى يستقر في نفسيهما الإيمان أكثر وحتى يتأكدا أنهما في مغالبة للشيطان .. ألقيا عليه الجمرات والحصى ..

وكلما سارا ووجداه خلفهما قذفاه بالطوب وفي الحج يتمثل الإنسان أن هذا هو الشيطان .. فيلقيه بالجمرات .. عملية سلوكية إيجابية أظهرها علم النفس الحديث كمهادنة بين الإنسان ونفسه على أنه تحلل من ذنبه وأنه يعلن من الآن عداوته للشيطان .. وقذفه بالحجر .. وكما ألقى ذنوبه كما ألقى الجمرات .. وكما قذف الشيطان بالجمرات .. فإنه يعود إلى حياته .. صافي النفس مطمئن القلب .. قد تجرد من ذنوبه .. وخاصم الشيطان .. وهنيئاً له .. إذا ما وقر ذلك في نفسه .. واستمر عليه .. فإن الجنة هي العطاء .. ورحمة الله هي الجزاء .

وهكذا لا وثنية من وثنيات العرب .. ولا تساؤل .. أو استنكار .. إنما هي وسائل إيجابية مادية .. يتحلل فيها الإنسان من ذنوبه .. ويفتح بها صفحة جديدة في حياته .. صفحة طاهرة نقية .. لنفس راضية مطمئنة .. قد تحررت من عقدة الذنوب .. وتعاهدت على ألا تستجيب للشيطان .. أي شيطان وكل شيطان وأن تطيع الله .. ورسوله .. ما استطاعت إلى ذلك السبيل .

أما السعي بين الصفا والمروة .. فليس كما يقال عن نقل مدسوس أن العرب كانت تسعي قبل الإسلام بين جبلي الصفا والمروة إذ على كل منهما صنم وكان هذا السعي هو عبادة لهذين الصنمين .. فاستمر السعي في الإسلام .. وهذا محض افتراء .. وخطأ .. وقول مدسوس على من نقل عنه الخصوم .. فأول سعي بين الصفا والمروة .. كان سعي هاجر ووليدها عندما تركهما سيدنا إبراهيم في هذا المكان الموحش حيث لا ماء ولا

زاد . ولا أحياء .. فما أن نفد الغذاء والماء .. وصرخ الطفل من الجوع والعطش .. حتى أخذت الام ما يأخذ كل أم من الشفقة والقلق على وليدها وقد جاع وظمأ .. فنظرت إلى الأفق تسأل الله .. فتراءى لها السراب فوق أحد الجبلين .. فهرولت مسرعة إليه .. فلم تجد شيئاً .. وتلفتت لتجد السراب فوق الجبل الآخر .. فتسرع إليه .. وهكذا استمرت في سعيها وهرولتها .. وهي تدعو الله .. حتى تفجر الماء تحت كعب الطفل .. وظهر الملاك من السماء .. ليقول لها (زمي زمي) . فكانت زمزم .. هذه الواقعة عندما يستمع الإنسان لها .. فإنها تهز وجدانه .. وتقوي يقينه . . وتثبت إيمانه فكيف عندما يعيش في مناطق حدوثها ؟ بل وكيف وهو يهرول نفس الهرولة وفي نفس المكان .. أي درس .. أي عبرة .. إن الحكم من هذه الهرولة .. أكثر مما تحصى .

هكذا يتبين لكل دارس أن شعائر الحج إنما تهدف إلى خير الفرد وصالح المجتمع كغيرها من عقائد وعبادات الإسلام ..

الاسلام والمرأة

* تحارب المرأة الأجنبية عموماً والأوروبية خصوصاً .. الإسلام بقوة اعتقاداً منها أن إسلام الرجل لا يتم إلا بزواجه من أربع نساء .

وينشر أعداء الدين وخصومه رأياً بأن الإسلام يستعبد المرأة استعباداً يتضح من أنه يساوي الرجل بامرأتين لأفضليته .. وأن المرأة لا تدخل الجنة بفضل استحقاقاتها الشخصية .. ولا تفتح لها إلا بمساعدة الرجل .

ولا شك أن ما وصل للمرأة الأجنبية من أن من شروط سلام الرجل زواجه بأربع نساء هو من سبل حرب الإسلام ودعايات الخصوم ضده .. فإن غالبية المسلمين في كافة أنحاء العالم حريصة على زواج الواحدة ولا تتعداه .. إذ يطالب القرآن الكريم الرجل بأن يتزوج واحدة وواحدة فقط حيث تقول الآية الكريمة التي يستشهد بها الخصوم :

(وَإِن خِفْتُم أَلاَّ تُقْسِطُوا في اليَتَامَى فَانكحُوا

ما طَابَ لَكُم مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِن خِفتُم أَلاَّ تَعدِلُوا فَوَاحِدَةً أَو مَا مَلَكَت أَيمانُكُم ذلِكَ أَدنَى أَلاَّ تعُولُوا) .

(٣ سورة النساء)

والآية واضحة المعنى ظاهرة التفسير لا تحتاج إلى شرح فإن النص يقول يمكن للرجل أن يتزوج اثنتين أو ثلاث أو أربع ولكن بشرط هو أن يعدل بينهن . . ومن خاف ألا يعدل فالزواج المقرر هو بواحدة .. وزيادة في التأكيد على الرجل بعدم الزواج بأكثر من واحدة فإن القرآن الكريم قد قرر بأنه مهما حاول الإنسان وجاهد ليعدل بين النساء فإنه أمر مستحيل لاسيما وأن الآية الشريفة عممت العدل وأطلقته اطلاقاً يجعله ينسحب على المعيشة وكافة نواحيها والعلاقة الزوجية بل والشعور الداخلي مما يجعل العدالة أمراً لا يمكن تحقيقه .. وذلك بنص الآية الشريفة في نفس السورة والتي أوردت هذه الحقيقة وهي :

(وَلَن تَستَطِيعُوا أَن تَعدِلُوا بَينَ النِّسَاءِ وَلَو حَرَصتم) .

(١٢٩ سورة النساء)

وبذلك لا شبهة إطلاقاً على الإسلام .. ولاصحة لأي قول يدعي أن الإسلام يدعو إلى تعدد الزوجات . . إنما الإسلام قد عالج المجتمع ووضع الحلول المختلفة لكافة الظروف التي قد تطرأ عليه ففي الحالات العادية قرر بالنص الصريح عدم

الزواج إلا بواحدة .. ولكن قد تطرأ حالات أخرى يمكن فيها استعمال ما أجازه الإسلام من تعدد الزوجات .. وقد أثبتت الدراسات الاجتماعية الحديثة أن إمكان تعدد الزوجات هو السبيل إلى حل كثير من المشاكل الاجتماعية التي بدأت تستفحل في العصور الحديثة .. وإن كانت موجودة من قبل ألا أنها زادت شدة .. ووضحت آثارها الخطيرة ..

فدائماً .. نجد في أعقاب الحروب .. زيادة النساء على الرجال زيادة كبيرة .. ولقد قدرت زيادة النساء على الرجال في روسيا عقب الحرب العالمية الأخيرة بعشرين مليوناً . وكانت نسبة النساء إلى الرجال في دول أخرى هي سبعة إلى واحد .. فكل رجل تقابله سبع نساء ..فكيف تحل هذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة ؟ مشكلة زيادة النساء هذه الزيادة الرهيبة .. هل تظل هذه النسبة وتتزايد ويضرب على هذه النسبة من النساء وبهذا العدد الحرمان من الزواج وتظل حياتها كلها عانسا ؟ أم يكون التعدد هو الحل لهذه المشكلة المتعددة الجوانب ؟

وأحياناً قد تصاب الزوجة بما يمنعها من ممارسة حياتها كزوجة .. كالمرض .. العضوي أو النفسي أو العقلي .. أو تكون عقيماً .. ولا بد للزوج أن يتزوج .. فما العمل مع الزوجة الأولى وقد تكون في حاجة إلى رعاية .. أو إلى من يعولها .. أيلقي بها في عرض الطريق .. أم تظل في بيت الزوجية كريمة معززة .. تجد النفقة .. وتحس بالاستقرار .

وإمكان التعدد تحت ظروف طارئة يحول بين انحرافات في

المجتمع تعانيها كافة الدول . فقد يقع الرجل المتزوج لسبب أو غيره فيما يكون زواجه من أخرى .. أصون للعلاقات العامة بين أفراد المجتمع .. من أن يتخذ لنفسه خليلة أوعشيقه .. والمشاهد المعروف .. انتشار مثل هذه العلاقات الشائنة .. التي تدفع المجتمع إلى الانحدار وكثيراً ما ينشر ويذاع أنباء هـــذه العلاقات في الدول الأوروبية .. وبزواج الرجل .. من معشوقته. أو ممن أجبر على حبها .. ستراً على فضائح إثارتها تزيد مـــن انتشارها .. وحفظاً للحياء في المجتمع .. فان يكون للرجل زوجتان .. أكرم له ولزوجته من أن تكون له زوجة وعشيقة .

وظروف كثيرة وعوامل اجتماعية .. جعلت علماءالاجتماع والمصلحين .. يقررون في أكثر من دولة وفي أكثر من مناسبة أن التعدد هو السبيل إلى حل مشكلات العالم الاجتماعية .

وبالرغم من ذلك .. فان النص القرآني .. يحتم على الرجل الزواج بواحدة .. وواحدة فقط .. إلا ما تحقق به صالح الزوجة الواحدة .. ولأسباب تجعل التعدد واجباً إنسانياً .. وعنده يجب أن يعدل بين زوجاته عدلا .. شاملا .. كاملا .. في مختلف النواحي .

وإما استعباد الإسلام للمرأة .. فهو رأي معكوس .. وقول مردود .. وأمر على النقيض من ذلك .. فان الإسلام هو أول نظام في العالم على الإطلاق حرر المرأة من استعباد الرجل وكرمها وساواها بالرجل مساواة كاملة في كل ما يجب أن تتساوى معه فيه طبقاً لكافة النظريات الاجتماعية الحديثة والدراسات التربوية

السليمة بالآية الشريفة .

(للرِّجالِ نَصيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وللنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَكَ الوالدَانِ وَالأَقرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنهُ أَوْ كَثُرَ نَصيباً مَفْرُوضاً) .

(٧ سورة النساء)

تعتبر أول قرار في التاريخ أوجب توريث المرأة بعد أن كانت وإلى عهد قريب جداً لا ترث ومن أربعة عشر قرناً من الزمان أعطى الإسلام للمرأة حقوقها السياسية ودعاها للمشاركة مع الرجل في كافة الأعمال السياسية والتي منها مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنص الكريم :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلاَ يَسرِقْنَ وَلاَ يَزنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَينَ أَيْدِيهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِيمَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغفر لَهُنَّ اللهَ إنَّ الله غَفُورٌرَحِيمٌ » .

(١٢ سورة الممتحنة)

كما منحها حقوقها الاجتماعية وأعلن وجوب مشاركة المرأة والرجل في بناء المجتمع والدولة وقرر لها ولاية الأعمال التي تأمر فيها بالمعروف وتنهي عن المنكر شأنها شأن الرجل وذلك بالنص الكريم :

(وَالْمُؤْمِنُونَ والمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

(٧١ سورة التوبه)

كما أن القرآن الكريم قدمنح المرأة حقاً لتحافظ به على كل ما قرره الإسلام لها .. ألا وهو حق الدفاع عن حقوقها .. فقد قررت آياته الشريفة أن الله سبحانه وتعالى قد استمع إلى مجادلة امرأة للرسول في زوجها وتشكوه إلى الله وذلك بالنص الشريف .

(قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصيرٌ) .

(١ سورة المجادلة)

فهل هناك ما سبق الإسلام في العناية بالمرأة ؟ .

وهل وصلت كافة التوصيات الحديثة .. والدعوات الإصلاحية إلى ماجاء به القرآن ؟ . وهل تطمع امرأة .. في أكثر مما جاء به الإسلام ؟ . بل هل هناك تشريع .. يماثله في رعاية المرأة وإكرامها . ؟

أما القول بأن الإسلام يساوي الرجل بامرأتين .. فان الآية

الشريفة التي يستند إليها الخصوم ونصها الكريم :

(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ)
(٢٨٢ سورة البقرة)

لا تحمل أي معنى من معاني عدم المساواة .. إد أن الآية تقرر بنص واضح سبب وجود امرأتين وهو إذا نسيت أحداهما فتذكرها الثانية .. وهذا هو السبب لا غيره .. وقد أوردته الآية إذ المرأة لا شك .. بما يطرأ عليها من تغييرات فسيولوجية نفسية وعصبية نتيجة أنوثتها.. وهي عذراء.. بتوالي مرضها الشهري وبحملها وولادتها وهي متزوجة لا شك لا تكون في حالة من التيقظ والحفظ بحيث تذكر تفاصيل وملابسات شهادة عمليات تجارية تم فيها تعاقد على بيع وشراء ومكسب وخسارة .. فلم يستبعد الإسلام شهادة المرأة .. وإنما طالب بوجود امرأتين. حتى يتذكرا سوياً . كما أن هذه الآية .. فيها رفعة لمنزلة المرأة إلى حيث تتساوى بالرجل .. فهي تبيح للمرأة .. حضور عمليات التجارة .. والبيع والشراء والتعاقد .. والشهادة على ذلك .. والمشاركة فيها طبعاً .

وأما اختلاف نصيب المرأة عن الرجل في الأرث حيث جعل الإسلام للذكر مثل حظ الأنثيين بالنص الشريف :

« يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ » .

(١١ سورة النساء)

فان المشاهد المعروف أن للرجل تبعاته تجاه أسرته .. وهي أكبر من تبعات أخته .. وهذه التبعات تكلفه من النفقات المالية والأعباء المادية .. ما يجعل نصيبه المضاعف عدلا .. واجباً .. فهو الذي يزور أهله .. ويودهم .. ويشارك في تجهيز وإعداد من أراد الزواج .. كما أن الرجل في زواجه يدفع مهراً .. والمرأة تأخذ صداقاً .. وبذلك فان ما يأخذه الرجل من الإرث وهو ضعف المرأة عدلاً مفروضاً .. وحقاً واجباً ..

وأما القول بأن المرأة لا تدخل الجنة بفضل استحقاقاتها الشخصية وأن الجنة لا تفتح لها إلا بمساعدة الرجل فهو قول خاطيء تماماً ويتعارض مع نص القرآن الكريم .. ويخالفه تماماً .. فان القرآن الكريم أعلن في نص صريح وواضح أن المرأة كالرجل لها ثواب عملها .. وتجزى عليه كما يجزى الرجل على عمله وذلك بالنص الشريف :

(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً) .

(١٢٤ سورة النساء)

وفي نص صريح آخر يقرر القرآن الكريم عدم تبعية المرأة

للرجل إطلاقاً في المسئولية فكل منهما يتحمل تبعة عمله منفرداً عن الآخر .. فزوجة نوح .. وهو نبي مرسل .. وزوجة لوط النبي المرسل قرر القرآن الكريم كفرهما وأنهما تدخلان النار .. ولم ينفعهما صلاح زوجاهما .. بينما زوجة فرعون كانت مؤمنة وزوجها كافر عاصي .. فكتب الله لها الجنة .. دون أن يؤثر كفر زوجها عليها وذلك بالنص الكريم :

(ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوح وَامْرَأَةَ لُوط كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ . وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

(١٠ سورة التحريم)

تحريم الخمر واسبابه

* يشيع بعض المسلمين ممن لم يتفهموا دينهم حق الفهم أو ممن يحاولون الدفاع عن باطل يتمنوه أو ممن استمعوا إلى حملات المغرضين .. أن الإسلام لم يأمر بتحريم الخمر أمرا حتمياً .. فبنما أوردالقرآن الكريم نصوصاً صريحة وواضحة وقاطعة بتحريم أكل لحم الميتة والدم السائل ولحم الخنزير وما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه وما مات خنقاً أو بسبب الضرب أو بسقوطه من علو أو بسبب نطح غيره له أو بسبب أكل حيوان مفترس منه وكذلك ما ذبح للأصنام كما حرم محاولة معرفة ما كتب في الغيب إذ أن ما ذكر كله ذنب كبير ومعصية لله وذلك بنص الآية الشريفة :

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ والْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بالأزلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ)
(٣ سورة المائدة)

وكذلك الأمر بالنسبة للربا حيث أورد القرآن الكريم نصوصاً صريحة بتحريمه وذلك في مثل النص الكريم :

(وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) .

(٢٧٥ سورة البقرة)

كما أورد القرآن الكريم نصاً بتحريم الإشراك بالله وبالإساءة إلى الوالدين وقتل الأولاد وإتيان الفاحشة وقتل كل نفس حرم الله قتلها إلا بالحق في النص الشريف :

(قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِملاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وإِيَّاهُم وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ) .

(١٥١ سورة الأنعام)

وفي تحريم زواج الإنسان من أمه أو ابنته أو أخته أو عمته أو خالته أو بنت أخيه أو بنت اخته أو أمه التي أرضعته أو أخته من الرضاعة أو أم زوجته وبنت زوجته من غيره إذا دخل بها أو زوجة الإبن أو أن يجمع الإنسان بين الأختين بزواجه منهما أورد القرآن الكريم النص الشريف :

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُم وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ

وَأُمَّهَاتُكُم اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ) .

(٢٣ سورة النساء)

إلا أنه بالنسبة للخمر فان النص الوارد عنه يقرر الاجتناب والاجتناب هو الترك والابتعاد عنه مما لا يرفعه إلى درجة التحريم وفي ذلك تقول آية اجتناب الخمر .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) .

(٩٠ سورة المائدة)

بل إن القرآن الكريم ليقرر أن هناك فوائد للخمر ومنافع للناس بالنص الشريف :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَفْعِهِمَا) .

(٢١٩ سورة البقرة)

هكذا يريد البعض اثارة قول بأن الإسلام لم يحرم الخمر تحريماً قاطعاً وأن لها بعض الفائدة .. وأن من يتعاطى الخمر لا يرتكب ذنباً كبيراً .. وهذا قول يخالف الحق .. ويتعارض تماماً مع ما جاء به الإسلام .

فاذا تدبر كل من يحاول اثارة هذا الرأي أو الأخذ به .. النصوص القرآنية التي يستشهد بها .. لوجد أنها تشهد عليه .. ولا تشهد له .. وأنها تنفي رأيه ولا تؤيده .. وتعارض اتجاهه ولا تؤكده .

فالآية الثالثة من سورة المائدة التي ورد بها تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وباقي المحرمات من لحم الدواب أوردت ضمن ما حرمته على الإنسان الأزلام والآية التسعين من نفس السورة والتي أوردت نص اجتناب الخمر أوردت الأزلام مع الخمر .. وبذلك يتأكد أن حكم الخمر هو حكم الأزلام .. وأن الاجتناب يعادل التحريم تماماً . وذلك من نصوص الآيات التي وردت فيها الخمر وباقي المحرمات .

وقد وردت آيات في القرآن الكريم تبين قدر الأمر بالاجتناب .. إذ تطالبنا الآيات الشريفة اجتناب عبادة الأوثان بالنص الشريف :

(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) .

(٣٠ سورة الحج)

وكانت دعوة كل رسول لقومه هي عبادة الله واجتناب

الطاغوت بالنص الكريم :

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)

(٣٦ سورة النمل)

بل وذكر الاجتناب عندما أمر القرآن الكريم الإنسان بعدم الاقتراب من كبائر الإثم والفواحش بالنص الشريف :

(وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) .

(٣٧ سورة الشورى)

وكذلك قررت الآية التسعين من سورة المائدة أيضاً أن الخمر رجس من عمل الشيطان وتقرر الآية ١٥٦ من سورة الأنعام أن الميتة والدم ولحم الخنزير رجس بالنص الشريف :

(قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ)

(١٤٥ سورة الأنعـــام)

فورود الأزلام مع الخمر في آية اجتناب الخمر وورود الأزلام مع المحرمات الأخرى في آية التحريم .. وتقرير القرآن الكريم أن الخمر رجس كالميتة والدم ولحم الخنزير إنما يقطع

بأن التحريم الواضح الصريح الذي ورد في المحرمات الأخرى إنما يشمل بلا لبس الخمر كما أن الاجتناب الذي أمر به القرآن الكريم في نص الخمر أمر به في تحريم الشرك بالله والكفر به .. فلا سبيل إلى تخفيف الحكم على الخمر .. ولا شبهة اطلاقاً في أنها محرمة تحريماً مؤكداً صريحاً واضحاً قاطعاً .

أما ما يقرره القرآن الكريم من أن للخمر بعض الفوائد فانها كسلعة تجارية يستفيد منها بعض الناس في انتاجها وبيعها وهذه هي المنافع للناس التي أوردها القرآن الكريم في الآية ٢١٩ من سورة البقرة ولكن ما تسببه من أضرار لمن يشربها ومن يعيشون مع من يشربها بل والذين تضعهم الظروف في طريق شاربيها ممن لا يرتبطون معهم بأية رابطة يجعل ضررها عاماً .. وشاملا وكبيراً .. لا يمكن قياسه أو نسبته للنفع المادي الهزيل الذي يعود على تجارها .. ولذلك قرر القرآن الكريم في الآية الشريفة بلا لبس أو غموض أن إثمها أكبر من نفعها حتى لا يحاول أحد اثارة مقارنة بين ضررها ومكسبها .. ولا شك أن كل حرام حرمه الله سبحانه وتعالى إنما لصالح الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة .. وإذا تدبر الإنسان لوجد أن أي لذة يحس بها من يأتي الحرام فانما هي لذة وقتية طارئة وأنها لا بد تنتج ضرراً بليغاً على مرتكبها أو على آخرين .. مما يجب معه منعها منعاً باتاً .

ولقد ورد في القرآن الكريم تهديد ووعيد بالنسبة لشاربي الخمر لم يرد في مناسبة أخرى إذ تقول الآية الكريمة .

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ

وَالْبَغْضَاءَ فِي الخَمر وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) .

وعلى ضوء ما ورد عن الخمر في القرآن الكريم وتحريمها تحريماً قاطعاً فان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أورد في أحاديثه الصحيحة نصوصاً واضحة بتحريم الخمر فقد قال صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) وحتى يبين للناس مدى تحريم الخمر فإنه قال (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملهاوالمحمولة إليه) .. وقال أيضاً (ثلاث ليست غيبتهم بغيبة : الإمام الجائر وشارب الخمر والمعلن بفسقه) .. ولما ذهب أحدهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفسره عن موقفه وهو يصنع الخمر للدواء قال عليه الصلاة والسلام (إنه ليس بدواء ولكنه داء) وقال عمن يشرب الخمر للدواء (من تداوى بالخمر فلا شفاه الله) .

ولعل أمر تحريم الخمر تحريماً قاطعاً واضحاً لم يعد في حاجة إلى إثبات أو دليل من واقع آيات القرآن الكريم ومن نصوص السنة النبوية .

* والسؤال الذي يثيره دائماً أعداء الدين وخصوم الإسلام عن الخمر .. هو سبب تحريمها رغم أنها في زعمهم مادة للترويح عن النفس ومن أسباب المتعة .. كما أنها في ظنهم من وسائل تدفئة الجسم .. الأمر الذي يجعل الحاجة إليها في الشتاء أو في البلاد الباردة أمراً مرغوباً فيه .

والإجابة عن هذا السؤال لا يمكن أن تكون من باب

الاجتهاد .. فان تقرير ما يفيد جسم الإنسان أو يضره ليس مما يعالج بالرأي أو الظن أو الاجتهاد .. بل إنه أمر لا يقرره إلا العلماء والأطباء بعد الدراسات العلمية والأبحاث الطبية والتجارب المعملية والإحصاءات الرقمية بل وتوالي هذه الأبحاث بالدراسات واستمرارها على عينات مختلفة من الناس وفي جهات عديدة من العالم وعلى مدى أجيال كثيرة .. ثم يتقرر بعد ذلك القرار الذي لا يناقش ولا يعارض ولا يجتهد فيه .. وهذا تم في شأن الخمر .. فاتضح أن الخمر سم قاتل وضرر بليغ .. فبالنسبة لما تحدثه الخمر في جسم الإنسان فلقد أثبت الطب في تقاريره الرسمية وفي مختلف دول العالم أن الخمر تصيب كل أجهزة الإنسان الهضمية بالتهابات وتساعد على الإصابة بالقروح .. وأنها تسبب تليف الكبد وموته .. وقد نشرت هذه التقارير وهذه البحوث في عديد من كتب العلم وتقارير العلماء ونشرات الصحة الوقائية .. ووصايا الصحة العلاجية وما من طبيب إلا وينصح مرضاه .. أيا كان مرضهم بضرورة الإقلاع عن شرب الخمر ولو لفترة العلاج حماية للجسم من تأثير الخمر . وقد سبق الإشارة إلى ذلك وإلى هذه التقارير وجهات إصدارها في كتاب الله والعلم الحديث .

أما أن الخمر مادة للترويح عن النفس ومن أسباب المتعة .. فقد تكون كذلك بالنسبة لغير شارب الخمر إذا مـــا راقب شاربها .. إذا كانت رؤية الإنسان لأخيه في موقف مزري مؤسف مما يروح على الإنسان .. بدلا من أن يثير الأسف

والشفقة .. فالإنسان الثمل يترنح في سيره .. ولا يعرف اتجاهه .. يتخبط في خطاه .. ولا يقدر خطوته .. يهذي في أقواله ولا يدري ما يقول .. يخطىء في تصرفه .. ويأتي بما ينكره على نفسه وعلى غيره إذا ما أفاق .. فأي متعة يا ترى وأي ترويح تلك التي يتحدثون عنها .. ويتخيلونها ؟ .

وأما الحرارة التي يحسها شارب الخمر فانها ناتجة عن عملية مضاعفة عمل الكبد وإرهاقه حيث يحاول التخلص من الكحول الذي وصل إليه . ليتأكد ويشعر الإنسان بحرارة تشع عن ذلك لتصل إلى الشعيرات الدقيقة في جلده .. وهي حرارة وقتية .. وتدفئه كاذبة .. إذ يؤثر الجو المحيط بالجلد ليعيد الشعيرات الدقيقة إلى درجتها الطبيعية من الحرارة وبتكرار تعرض هذه الشعيرات إلى الاختلاف الشديد في درجات الحرارة داخلها من أثر الكحول وخارجها من الجو .. يصيبها العطب .. وفي تقرير رسمي لبعثة العالم سكوت لاكتشاف المناطق القطبية أن من كان يتناول الخمر من أعضائها بغرض التدفئة من البرد كان أسرع موتاً .. وأقل تحملا لصعاب الرحلة .. ولم ينج من الرحلة إلا من كان ممتنعاً عن شرب الخمر . إن أثر الخمر السيء بالنسبة للحرارة الزائفة التي يحسها شارب الخمر .. يشير إليه محاولته اضافة كميات كبيرة من الثلج إليها عند تناولها .. ثم المحاولات المتعددة لإطفاء اللهيب الداخلي الذي يحسه والذي يتضح من كثرة تناوله الماء بعد الخمر لاسيما أثناء نومه وبعد يقظته .. مما يؤكد أن حرارة الخمر الناتجة من أكسدة الكحول

قد غيرت من نسبة الماء داخل الخلايا .. في محاولة للجسم أن يعيد توازن مكونات خلاياه

ولقد أثبت العلم الحديث أن للخمر أثرها البالغ على عقل الإنسان ولا شك أن هذا هو أخطر ما تصيب الإنسان به .. فيقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة أن العقل أقل متانة من الجسم ومن الملحوظ أن لأمراض العقلية وحدها أكثر عددا من كافة الأمراض الأخرى مجتمعة والمستشفيات المخصصة للمجانين تغص بمن فيها من المرضى بحيث لا يوجد فيها مكان لاستقبال غيرهم ممن يتعين احتجازهم وفضلا عن ذلك فان نسبة كبيرة من الأطفال في المدارس منخفضو الذكاء إلى حد أنه لا يمكنهم متابعة الدروس متابعة مجدية .. ويقول عن أسباب ذلك أن تغيرات وقتية في النشاط العقلي تظهر بتأثير الكحول الذي يسير مع الدم حتى الخلايا المخية .. هذا بالنسبة لشارب الخمر .. أما بالنسبة للأطفال الذين يولدون من أب مدمن .. أو أم تشرب .. فان النسبة الكبيرة للطلبة المتخلفين عقلياً وذهنياً تشير كلها إلى أن السبب في ذلك يرجع إلى شرب الأب .. أو الأم للخمر .

ولقد اثبتت الدراسات والأبحاث ما للخمر من أثر على الأبناء فنجد في علم الإجرام حقائق مؤكدة تبرز دور الخمر في وراثه الميل الإجرامي. فنجد في كتاب الأستاذ رمسيس بهنام أستاذ القانون الجنائي والذي يعتبر من أكبر مراجع علم الإجرام في الجامعات نصاً يقول أن هناك عاملا قد ينشأ الوليد بسببه

شاذاً ذا ميل إلى الجريمة .. وهو أن يحدث الوقاع والحمل بينما يكون أحد الزوجين أو كلاهما في حالة سكر . . والسكر الذي يكون عليه الوالد أسوأ أثراً من السكر الذي تكون عليه الوالدة .. لأن أثر الكحول أقوى على الخلية المنوية منه على البويضة ولأن وقاع المخمورين ذو أثر سيء على الحمل الذي ينتج منه فقد نصح لكارجو العروسين بعدم تعاطي النبيذ .. كما نادى بنياجاروا بلوركاو بتحاشي الوقاع في حالة السكر .. وكان أهل قرطاجنه يستبعدون النبيذ من حفلات العرس .. وبرجوع البحاثة بودولا إلى تواريخ ميلاد ٨٠٠ من الأطفال الشواذ اكتشف أن الحمل بهم يرجع إلى أوقات يطغي فيها سيل النبيذ جارفاً .. هي أعياد الميلاد ورأس السنة والكرنفال .. وقد سلم الألمان بالأثر السيء للخمر على الصحة الجسدية والنفسية للطفل حتى أنه قد شاع عندهم استخدام عبارة ابن السبت أي من حمل به يوم السبت وهو في المانيا يوم قبض المرتبات والتغالي في المتعة وقياساً على هذه العبارة يمكن الكلام في بلاد أخرى عن ابن الأحد أو ابن الجمعة .. وكثيراً ما يفضي سكر المرأة في أثناء الحمل إلى نتائج سيئة منها موت الجنين نفسه أو الإجهاض أو الولادة قبل الأوان أو موت الوليد في سن مبكرة أو ضعفه لمقاومة الأمراض .. وأورد الكتاب أمثلة أظهرتها الأبحاث والإحصاءات في وراثة الميل الإجرامي منها حالة دوجدال العالم الذي درس أسرة نشأت من رجل يسمى ماكس جول ولد في عام ١٧٢٠ وكان مدمناً للخمر وزوجته كانت منحرفة وبتتبع سبعة أجيال تسلسل فيها

التناسل انتجت هذه الأسرة ٧٦ مجرماً و ١٤٢ متسولا و ١٢٨ مومسا و ٩١ ولداً غير شرعي و١٣١ من المجانين والبلهوالمعتوهين

ولقد جاء في تقرير لجمعية مكافحة الخمور في بريطانيا نشر في أوائل يناير ١٩٧٠ أن ربع مليون شخص يتغيبون يوم الإثنين عادة عن العمل كل أسبوع بسبب التمادي في تعاطي الخمر يوم الأحد وهذا يصيب الاقتصاد البريطاني بشلل خطير . وطالب التقرير بأن تعمل الحكومة البريطانية على المساعدة في علاج ظاهرة ادمان الخمر .

وقد حدثني صديق كان في دراسة بالخارج .. أنه قد عقدت ندوة نقاشية عن سبب تحريم الإسلام للخمر .. ودام النقاش أياماً حيث كان يرجع كل من الفريقين إلى بحوثه وأسانيده يجمع ما يؤيد رأيه .. إلى أن لحظ الصديق ذات ليلة اضطراب أحوال الأسرة التي كانوا يجتمعون عندهـا .. حيث وجد اجتماعات ومداولات وهمهمة .. فلما استوضحهم الأمر .. اجيب أن ابنتهم وهي طالبة . . قد عبث بها زميل لها في الدراسة واعتدى عليها .. ومن المناقشات التي استمع إليها عن الدوافع والملابسات وتحديد المسئوليات اتضح أن المعتدى عليها بررت هذا الإعتداء بأنها كانت مسلوبة الإرادة فاقدة الوعي شربت الخمر مع صديقها فلم تدرك ما فعلت .. كما أن صديقها.. لم يدرك ما فعل .. وبلا شك فقد انتهت مناقشة أسباب تحريم الإسلام للخمر بعد أن قدمت الظروف .. الدليل العملي .. والبرهان القاطع على بعض ما تسببه الخمر للمجتمع .

إن معظم حوادث المرور تحدث من تأثير الخمر .. وأغلبية الحوادث الرهيبة .. من سرقة إلى قتل إنما يستعين على قضائها الناس بشرب الخمر حيث تفقدهم السيطرة على أعصابهم .. وتزين لهم كل سوء .. وتدفعهم إلى كل ذنب .. وإلى كل اثم .. إن وراء كل حادث .. ووراء كل مجنون .. ووراء كل طفل معتوه .. قصة خمر لا شك .

والإنسان لو تحرر من كل تأثير .. وأصغى إلى داخله .. واستمع إلى وجدانه .. فانه يتأكد تماماً أن الخمر مضرة تماماً .. وأنها محرمة يقيناً .. فلقد قام الدكتور لبون جرينبرج الأستاذ بمركز الدراسات الكحولية في جامعة ييل بدراسات عن أثر الخمر على الإنسان .. ما تفعله في الجسم وما يفعله الجسم فيها .. فسعى هذا الدكتور إلى احداث وعكة المسكر .. وهو الصداع والغثيان وأعراض واضحة تظهر صباحاً على من تناول الخمر في المساء .. عند جماعة متعددة من الأفراد .. حتى انطرحوا سكراً .. فوصل إلى نتيجة ضمنهـا دراسته وهي أن وعكة المسكر عرضاً نفسانياً .. إذ يشعر الإنسان بجرمه لتناوله الخمر . ويثور داخله .. ليظهر عليه وعكة المسكر .. إذ أن الأفراد الذين أجرى عايهم التجارب لم تظهر عليهم هذه الوعكة لأنهم كما قال الدكتور ليون تناولوا الخمر كجزء من بحث علمي فظلت ضمائرهم نقية سليمة .

وهكذا تؤثر الخمر على شاربها فتضر أجهزته ابتداء من حلقه وحنجرته حيث تصيب المدمن بأمراض معينة في هذه

المنطقة .. إلى معدته وكبده وامعائه وجميع خلاياه .. وتصيب جهازه العصبي .. وترنح شارب الخمر وهذيانه .. واضطراب خطواته لهو أكبر دليل على مدى ما يصيب هذا الجهاز .. وتؤثر عليه نفسياً حيث يشعر بأنه يرتكب إثماً .. كما أثبتت الأبحاث العلمية .. وتؤثر الخمر على المجتمع الذي يعيش فيه شارب الخمر .. حيث يقل إنتاج شارب الخمر .. وحيث يعتدي على غيره .. وحيث لا يردعه وهو ثمل أي شيء .. أنها تحول بين الإنسان وبين كل خير .. وتدفعه إلى كل شر .. فهي تمنع لإنسان عن ذكر الله .. وعن الصلاة .. وصدق الله العظيم الذي يقول :

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) .

(٩١ سورة المائدة)

وحقاً وصدقاً ما قاله عنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنها أم الكبائر .. وأنها أم الخبائث .

وينسحب حكم الخمر على كل ما يماثلها من مخدرات تؤثر في عقل الإنسان فتفقده اتزانه وتغير من طبيعته .. فالخمر لغة هي كل ما خامر العقل أي يغيبه ويعبث به .. كما أن أثر المخدرات على صحة الإنسان وأفراد عائلته وذريته والمجتمع الذي يعيش فيه لا يقل عن أثر الخمر السائلة والإسلام يحرص

على صحة الفرد العضوية والنفسية والعقلية وعلى سلامة المجتمع .
ولذلك فقد حرم الخمر بأنواعها وأشكالها كما حرمتها الأديان الأخرى .. بنصوص صريحة واضحة لا تحتاج إلى جدال أو نقاش .

ففي الكتب المتداولة من العهد القديم نجد في الديانة اليهودية نصوصاً قاطعة بتحريم الخمر منها ما جاء في سفر اللاويين في الإصحاح العاشر ونصه

(وكلم الرب هارون قائلا خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا . فرضاً دهرياً في أجيالكم) .

وما جاء في سفر القضاة في الإصحاح الثالث عشر ونصه .

(فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها . ها أنت عاقر لم تلدي . ولكنك تحبلين وتلدين ابناً . والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً) .

وما جاء في سفر الأمثال في الإصحاح العشرين ونصه .

(الخمر مستهزئة . المسكر عجاج ومن يترنح بها فليس بحكيم) .

وفي الإصحاح الحادي والثلاثين من نفس السفر نجد النص :

(ليس للملوك يا لموئيل ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر .. اعطوا مسكراً لهالك وخمراً لمري النفس) .

وفي سفر اشعيا في الإصحاح الخامس نجد النص :

(ويل للمكرين صباحاً يتبعون المسكر . للمتأخرين في العتمة تلهيهم الخمر . وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولأئمهم وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون. ويل للابطال على شرب الخمر ولذوي القدرة على مزج المسكر) .

هذا في الشريعة اليهودية .. وبنص ما يتداول من كتب التوراة .

أما في المسيحية فان كتب العهد الجديد المتداولة تقرر أن سيدنا المسيح لا ينقض ما جاءت به الأنبياء فنجد في انجيل متى الإصحاح الخامس النص :

(تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لانقض بل لأكمل) .

وأما عن الخمر فمما جاء عنها في كتبهم المتداولة ما ورد في إنجيل لوقا الإصحاح الأول ونصه (فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا.. ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته . لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب

وفي رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية نجد في الإصحاح الرابع عشر النص :

(ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف) .

وفي رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس نجد في الإصحاح الخامس أن شارب الخمر كالزاني وعابد الوثن بالنص :

(كتبت إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة . وليس مطلقاً زناة هذا العالم أو الطماعين أو الخاطفين أو عبدة الأوثان وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم . وأما الآن فكتبت إليكم إن كان أحد مدعو أخا زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شيء ما أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تواكلوا مثـــل هذا . .

وفي رسالة بولس الرسول إلى تيطس في الإصحاح الأول نجد النص :

(لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب ولا مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامع في الربح القبيح)

وفي رسالة بطرس الرسول الأولى نجد في الإصحاح الرابع النص :

(لان زمان الحياة الذي مضى يكفينا لنكون قد عملنا ارادة الأمم سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة) .

وأما الاحتجاج والاستناد إلى أنه في العشاء الأخير قدم سيدنا المسيح لتلاميذه خمراً بالنصوص التي جاءت في الأناجيل والتي كما جاءت في الاصحاح السادس والعشرين من انجيل متى ونصه :

(وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي . وأخذ الكأس

وشكروا وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم) .

فان ذلك يخالف ما جاءت به الديانة المسيحية في النصوص السابقة . فلا يمكن أن يدعو سيدنا عيسى تلاميذه إلى شرب الخمر وقد ذكرت أنها محرمة وأنها كعبادة الأوثان والذي يتدبر النصوص اللاحقة على نص اعطاء سيدنا عيسى الكأس لتلاميذه ليتأكد تماماً أن هذا الكأس يحتوي عصيراً جديداً لفاكهة .. قد يكون العنب ولم يكن العصير متخمراً اطلاقاً إذ أن النص في كافة الأناجيل قد ورد ما يفيد أن هذا العصير كان جديداً ولذلك فقد حرص على أن يذكر أنه لن يشرب من هذا العصير حتى يشرب معهم يوم القيامة منه جديداً كذلك بالنص في نفس الإصحاح وفي كل الأناجيل إذ يقول :

(وأقول لكم أني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حيثما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي) .

وهكذا يتأكد أن ما ناوله سيدنا عيسى لتلاميذه إنما هو عصير طازج .. شراب حلال مما حلله الله للناس أن يشربوه .

أن رحمة الله بالإنسان التي تتجلى في كل ما أنعم الله عليه به وفي كل ما أمره به لتتجلى أيضاً في تحريمه شرب الخمر عليه .. ليحميه من كل ما تصيبه بها من أضرار وأمراض . . وتحمي مجتمعه الذي يعيش فيه من أثر الخمر عليه .

الدجال وفتنته ونزول عيسى لقتله

* ورد في بعض الكتب الإسلامية الدجال باسم المسيح الدجال وفي بعضها نسيخ الدجال .. فأيهما الإسم الصحيح وما حقيقته وما هي فتنته ؟ . ولماذا اختص الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى بالنزول لقتل الدجال ؟ . وهل بنزوله يكون قد بعث مرة اخرى . ام انه استمرار لحياته التي هو فيها ؟ .

اختلفت الكتب التي تذكر الدجال في اسمه .. فبعضها تقول أنه المسيح الدجال لأنه ممسوح إحدى العينين .. والبعض الآخر تقول إنه المسيخ الدجال لأنه مشوه الوجه .. ممسوخ الشكل .. مكتوب على وجهه كافر باللغة العربية .. واختلفت الآراء التي ذكرت الدجال حول فتنته إلا إنها اتفقت على أنها من الأمور البالغة السوء إذ يملأ هذا الدجال الدنيا ظلماً وجوراً وينشر الفساد والشر .. ويصبح الإنسان مؤمناً ويمسي كافراً .. وأوردوا أحاديث تصور قدر هذه الفتنة مثل (ليفرن الناس من الدجال في الجبال) .. ونطلب الاستعاذة بالله من هذه الفتنة مثل

(عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال) .

أما حقيقة الدجال فان القرآن الكريم لم يشر إلى ذلك اطلاقاً . لا بالنص ولا التلميح ولا بما قد يظن أن هناك ما يسمى الدجال أو أنه يظهر أو أن له فتنة بل إن لفظ دجال أو دجل لم ترد في القرآن الكريم أبداً .. ولا يمكن أن يكون مثل هذا الأمر يتوقع حدوثه ولا يذكره القرآن الكريم .

أما نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لقتل الدجال استناداً لحديث يقول (ليقتلن ابن مريم الدجال بباب لد) وتفصيله من حديث آخر يقول (يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلا وإنه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فانه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بل . . ينزل بين مخصرتين فيكسر الصليب يقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهل من الروحاء وحاجاً أو معتمراً أو ملبياً بهما جميعاً ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيخ الضلالة الكذاب الدجال وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبية بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر . اقرأوا ما شئتم (وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ

عَلَيْهِمْ شَهِيداً) أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات) فأمر مدسوس على المسلمين ..

إذ مما يؤكد وضع هذه الأحاديث أن عهود الخلافة قد انتهت ولم ينزل سيدنا عيسى ولم يظهر الدجال .. فكيف التمسك بمثل هذه الأحاديث التي لا سند لها من القرآن الكريم والتي ظهر أنها مدسوسة على الإسلام وموضوعة لحرب الإسلام ..

أما الآية الشريفة التي يستندون إليها في هذا الحديث فيتضح تفسيرها بدراسة الآيات السابقة التي كلها تبحث موضوع نهاية سيدنا عيسى في حياته الدنيا إذ نص الآيات هي :

(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً . بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً . وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً) .

(١٥٧ – ١٥٩ سورة النساء)

نص واضح صريح لا يحتاج إلى جدل أو خلاف في معناه.. أو تفسيره .. فلقد اختلفت الآراء حول نهاية سيدنا عيسى بعد أن خانه أحد تلاميذه وأبلغ عن مكان وجوده ليلا لقاء أجر قليل .. وجاء القتلة حينما كان سيدنا عيسى قد خرج إلى بعض

حاجته بوحي من الله وتأييد منه . ولم يكن بالمكان غير الخائن الذي أبلغ عنه .. وكان الليل قد انتصف أو يكاد واشتد الظلام وألقى الله سبحانه وتعالى شبه سيدنا عيسى على هذا الخائن الذي قبض عليه المعتدون .. وكلما صاح محتجاً .. كلما تمسك المعتدون به .. حيث أخذ بعد ذلك وصلب وقتل وهذا لا شك الجزاء العادل للخائن الذي خان رسول الله ونبيه .. أما سيدنا عيسى فقد نجاه الله .. وهذا ما يجب .. نحو رسول الله ونبيه وظل سليماً إلى أن مات ورفع الله روحه وقدره ومنزلته .. وهكذا لم يصلب .. ولم يقتل المسيح يقيناً .. واختلفت الآراء .. حوله .. وفيه .. وكل هؤلاء المختلفون لا علم لهم إلا بما يظنونه . . ولذلك فقد سارت بينهم الشكوك .. والحقيقة هي أنه بعد أن ستوفى أيامه على الدنيا ومات رفعه الله بروحه إلى درجة عالية كما يرفع الرسل والنبيين .. وكل إنسان من أهل الكتاب لديه شك في ذلك .. سيعرف الحقيقة ويؤمن بها لحظة أن يحتضر إذ عند الموت ترتفع الحجب عن الإنسان ويعرف الحق كله ويوم القيامة سيشهد سيدنا عيسى لمن آمن به .. وصدق به .. وشهد له بالحقيقة .. وسيشهد على من كفر به .. وكذب به.. وافترى عليه .

ولقد ورد رفع الرسل والأنبياء في آيات أخرى .. مما يؤيد أن الرفع إنما هو رفع الدرجة والقدر والروح فتقول الآيــة الشريفة :

(وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إدْرِيس إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِياً . وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياً . .)
(٥٦ ــ ٥٧ سورة مريم)

وبذلك ينتفي أي قول يتردد بأن سيدنا عيسى رفع بجسده إلى السماء .. وإلا لتم الرفع لكل الرسل والأنبياء والسماء ليست بالمكان الذي توجد به الأجساد المادية التي تتجدد حاجاتها إلى الماديات وتتخلص من البواقي بالفضلات .

والآيات التي تقرر وفاة سيدنا عيسى بجسده آيات صريحة وواضحة إذ تقول الآية الكريمة على لسان سيدنا عيسى :

(مَا قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَن اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْت عَلَيْهِمْ شهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْت أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد) .
(١١٧ سورة المائدة)

أما أنه سينزل مرة أخرى في الدنيا ليحكم بشريعة سيدنا محمد .. صلى الله عليه وسلم فانه مما لا شك فيه أن سيدنا محمد هو خاتم الرسل والنبيين .. ويقرز القرآن الكريم بنص الآية الشريفة تلك الحقيقة :

(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّن وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً).
(٤٠ سورة الأحزاب)

والقول بنزول سيدنا عيسى يناقض هذه الآية إذ أن نزوله سيكون على أنه نبي .. بلا رسالة .. حيث لا يكلف برسالة .. وقد انتهت الرسالات والنبوات تماماً .. فلا نبي بعد محمد ولا رسالة بعد الإسلام . أما الاستناد إلى الآية الشريفة :

(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) .

(٦١ سورة الزخرف)

والقول بأنها إنما تعود إلى نزوله فأمر بعيد الاحتمال والسياق لا يؤيده .. إذ تتحدث الآيات السابقة عليها عن سيدنا عيسى فتقول :

(وَلَمَّا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وَقَالُوا آلهتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضربُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ . إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ) .

(٥٧ — ٦٠ سورة الزخرف)

فأين القول بنزوله .. حتى تحمل الآية هذا التفسير ؟ . إن الآيات تتحدث عن رسالة سيدنا عيسى .. وأنه يعتبر علامة لقرب الساعة .. فقد ولد بلا أب .. وأرسل بالمعجزات المادية

التي منها شفاء المرضى وإحياء الموتى .. وإذا كان قد سبقه عدة ألوف من الرسل والأنبياء فليس بعده إلا خاتمهم وأخيرهم .. ألا يكون الإيذان بقرب الساعة ؟

إن العقيدة المسيحية بمذاهبها المختلفة لا تقول بنزول سيدنا عيسى ولم تذكره أصلاً .. والعقيدة الإسلامية وأصلها القرآن القرآن الكريم لم يذكر شيئاً عن هذا النزول.. إن خصوم الأديان عندما يريدون محاربة العقائد الدينية فانهم يدسون بدهاء ما يثير الشك في الأديان كلها .. في مستقبل الأيام .. ثم يعودون في أجيال لاحقة ليتساءلوا إذا كان محمد خاتم النبيين فكيف ينزل عيسى ؟ . وإذا كان الإسلام في حاجة إلى تدعيم وإعادة لنشر دعوته .. فلماذا لا ينزل محمد .. وهو رسول هذا الدين .. ؟ وإذا كان عيسى قد رفع بجسده حياً في السماء .. خلافاً للناموس .. ولكل الرسل والأنبياء فلماذا اختلف عنهم ؟ . وإذا كان الدجال سيظهر في عهد الخلفاء فلماذا يظهر .. ؟

إن ما دسوه قديماً .. يشابه ما دسوه حالياً .. إذ أصدرت إحدى الدوائر الروحية كتاباً بعنوان (قال المسيح) يذكر الكتاب أنه قد تم تحضير روح سيدنا عيسى الذي أكد إيمانه بالإسلام ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. إلا أن الكتاب في لفظ قصير ولحظة خاطفة يقول أن المسيح قدم نفسه بقوله (ولدت من أبي يوسف النجار وأمي مريم بنت عمران ولادة

طبيعية) .. وهكذا في لفظ خاطف قصير يدس ما يشكك المسيحيين والمسلمين على السواء في دينهم .. وعقيدتهم .

وهكذا لا دجال باسم المسيح.. أو المسيخ سيظهر..ولا نزول لسيدنا عيسى ليقتل الدجال .. أو ليعيد نشر الإسلام والله أعلم

عن القرآن

مدة نزول القرآن الكريم

* يسأل البعض لماذا نزل القرآن الكريم على فترة طويلة ولم ينزل دفعة واحدة. ؟ أو ليس في نزوله دفعة واحدة فرصة أكبر للحفاظ عليه ؟ .

نزل القرآن الكريم منجماً متفرقاً على مدى أكثر من عشرين عاماً منذ أن أوحى الله سبحانه وتعالى إلى خاتم الرسل والنبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأول آية من آياته الشريفة وهو في سن الأربعين من عمره حتى ختم الله سبحانه جل شأنه القرآن الكريم قبل موت الرسول وهو في الثالثة والستين .. وبذلك يكون القرآن الكريم قد نزل في حوالي الثلاثة والعشرين عاماً .. ولا شك أن الله سبحانه وتعالى قد أنزله منجماً على مدار هذه الفترة الطويلة لحكم وأهداف يمكن للإنسان لو تدبر وتفكر أن يقف على بعضها .. فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب .. ونزول القرآن الكريم وهو يضم مائة وأربع عشرة سورة تشتمل على ٦٢٣٦

آية منها آيات تزيد كلماتها على الخمسين كلمة .. مرة واحدة عليه يجعل أمر ضبطه عسيراً بل قد يجوز عليه السهو عن بعضها أو الخطأ فيها .. إنما نزول آياته الشريفة تباعاً وعلى فترات يجعل فرصة الحفاظ عليها كاملة وتامة .. كما أن في نزوله مرة واحدة مشقة على الحفظة الذين يحفظونه .. إذ من الصعب أن يتمكن الصحابة والسامعون من حفظ القرآن كله مرة واحدة .. بعكس ما حدث حيث كان يحفظ الصحابة والسامعون حتى من الصبيـــان الصغار بضع آيات في كل مرة فاذا ما نزلت الآيات التالية فانهم يحفظونها بعد أن يكونوا قد حفظوا ما سبق وبهذا تمكنوا من حفظ القرآن الكريم كله على مدى الفترة التي نزل فيها .. وهذا هو المتبع في حفظ القرآن الكريم منذ أن نزل حتى الآن وحتى الغد وإلى أن تنتهي الدنيا .. تقسيم الحفظ على مراحل زمنية .. كما أن عملية الحفظ نفسها حرص عليها المسلمون منذ نزلت أولى آياته الشريفة للحفاظ على القرآن الكريم .. عندما نزل منجماً .. ولو نزل مرة واحدة ما كان الحرص على حفظه .. كما حدث .. ومن حكم نزول القرآن الكريم على فترات طويلة التيسير على الناس فيما تضمنه من أحكام فلو نزلت الأحكام كلها مرة واحدة لشق على الناس أمرها ... ولكن عن طريق التدرج الذي حققه نزول القرآن منجماً تحول الناس إلى الإسلام بيسر ورضى .. حيث عالج بالمراحل دون الطفرة كل أمور الدين والدنيا وأفصحت الدراسات الحديثة .. أن هذا الأسلوب هو أفضل الأساليب

وأحسنها في معالجة أمور الناس .. ونزلت بعض الآيات ردوداً على أسئلة الناس .. وبعضها نزل في مواقف معينة ووقائع محددة مما يستلزم أن يكون منجماً .. وعلى فترات طويلة .. كما أن طول مدة نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. جعلته متصلاً طوالها بسيدنا جبريل .. مطمئناً على تأييد الله سبحانه وتعالى جل شأنه اه .. مما يقوي من عزيمته .. ويشد من أزره .. ويصمد للجهاد .. ولهذا عندما فتر الوحي لمدة بسيطة حزن وأسف .. حتى عاد الوحي ليقول الله بنص الآيات الشريفة :

(وَالضحَى . وَاللَّيْلِ إذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) .

(١ ــ ٣ سورة الضحى)

هذه بعض الحكم من نزول القرآن الكريم منجماً على فترة طويلة وهذه بعض أهدافه .. وقد حقق هذا النزول بهذه الكيفية الفرصة الكاملة للحفاظ عليه .

ترتيب القرآن الكريم

* لماذا لم يرتب القرآن الكريم بحسب نزوله لتكون تلاوته وفق نزوله وكيف رتب على ما هو عليه ؟ .

نزلت أول آيات القرآن الكريم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للقراءة حيث سيتلى عليه ما يجب أن ينقله للناس وكانت هذه الآيات الشريفة هي :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) .

(١ ــ ٥ سورة العلق)

وكانت آخر آيات القرآن الكريم هي :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) .

(٣ سورة المائدة)

وكما يتضح من نصها فهي الإعلان بانتهاء الوحي حيث اكتمل الدين تماماً وتم إعلان عقائده وعباداته وأصبح الإسلام وهو أصل كل الأديان ودعوته هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده الذين أنزل لهم هذا القرآن الكريم وهم جيل النبي صلى الله عليه وسلم والأجيال التي تليها كلها حتى تقوم الساعة .

ولأن في القرآن الكريم آيات كريمة نزلت ردوداً على أسئلة من الناس في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وفيه آيات نزلت لمواقف معينة وفي أمور محددة .. وكل ما جاءت به إنما ينسحب على الأزمنة بعدها وعلى الأجيال التي تليها فقد شاءت إرادة الله ألا تدون في مكان نزولها من القرآن حتى لا يرى البعض أنها كانت لأمر وانتهى العمل بها لانتهاء زمانها .. ولذلك رتب القرآن الكريم بغير ترتيب نزوله حتى يعتقد الناس جميعاً أنه لكل زمان وأوان .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندما ينزل عليه الوحي بآية ويتلوها فانه يقول لصحابته ضعوها بعد آية يحددها في مكان يعلنه .. وما كان هذا التحديد وهذا الإعلان إلا وحياً كذلك له .. وكان سيدنا جبريل يدارس سيدنا محمداً القرآن ما نزل منه .. لا سيما رمضان من كل عام .. إلى أن انتهى نزول القرآن كله فراجعه معه .. ورتب سوره الشريفة .. وأعلن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الترتيب الذي نجده

الآن في كل المصاحف التي يتداولها العالم .

ومن ضمن الإعجاز الذي لا يرقى إليه أي شك أو ريب .. تلك المعجزة التي تتجلى في استيعاب الرسول صلى الله عليه وسلم لكل سور القرآن الشريفة وآياته الكريمة وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب .. ويضع كل آية مكانها .. قبل آية .. وبعد آية .. ويرتب السور الشريفة في تتابعها العجيب .. ونجد المصحف .. في تناسق بديع وسرد جميل وتتابع مدهش .. بحيث أن السامع .. حتى غير الحافظ له .. إذا سمع آية استبدلت مكان أخرى .. لأحس بذلك .. بل لو تغير الحرف .. لا الآية .. وهذا من ضمن اعجاز القرآن الكريم وتأييد الله سبحانه وتعالى لرسوله الأمين .

افتراء على القرآن

يقول بعض الخصوم في القرآن الكريم :

* نقل القرآن عدداً كبيراً من الاساطير والقصص المنقولة عن قدماء العرب والأديان السابقة إلا أنه وضعها في قالب جديد ولقي اعتراضات كبيرة فقام مؤلفو القرآن بمحاولة اخفاء تلك الاعتراضات ولكن لم يتمكنوا إلا من حذف بعض الكلمات غير المقبولة مثل كلمة (كفار) .
* يتعارض القرآن والتطور العلمي ويثبت ذلك أن أراء القرآن بخصوص منشأ الكون والأرض والإنسان بدائية ومنافية للعلوم .
* في سبعة أماكن مختلفة يذكر القرآن كيف خلق الإنسان ويناقض القرآن نفسه في هذا الخصوص إذ يقول في المرة الأولى أن الله خلق الإنسان من تراب وفي الثانية من طين والثالثة من خلاصة الطين والرابعة من الطين اليابس والخامسة من طين لزج والسادسة من فخار والسابعة من ماء وتدل

جميع هذه التناقضات على أن القرآن لم يؤلف في وقت واحد ولا من شخص واحد .

* اما أن القرآن الكريم قد نقل عدداً كبيراً من الأساطير والقصص المنقولة عن قدماء العرب فان التاريخ يؤكد بسطوره المكتوبة والتي يتداولها العالم أن العرب قبل الإسلام كانوا وثنيين يعبدون الأصنام ولم تكن لديهم أية أفكار قريبة أو حتى بعيدة عن الدين .. أي دين .. والقرآن الكريم قد جاء بانباء دعوة الأنبياء للتوحيد وعبادة الله وأورد قصص الصراع بينهم وبين أقوامهم فليس هناك أي اتفاق اطلاقاً بين ما كان يعتقده العرب وما يتداولونه وبين ما جاء في القرآن الكريم .

أما أن مؤلفي القرآن الكريم لم يتمكنوا من اخفاء الاعتراضات التي وجهت إليه إلا بحذف كلمة كفار من القرآن لأنها غير مقبولة فان القرآن الكريم هو الدليل المادي الإيجابي على أن هذا القول هو افتراء وضلال .. فان لفظ كفار ومشتقاتها من أكثر الألفاظ التي تكررت في القرآن الكريم فان عددها فيه يزيد على خمسمائة مرة منها ١٥٠ مرة تكرر فيها لفظ الكفار والكافرين والكافرون وليس بعد ذلك أي تعليق .. إلا أن يرجع الإنسان إلى نسخة من المصحف ويقلب صفحاته ليرى أن في معظم صفحاته يتكرر هذا اللفظ .

* وبالنسبة لقولهم بمعارضة القرآن الكريم للعلم بما أوردوه من تفاسير مدسوسة للآيات الشريفة .. أو أقوال شخصية تعمد الخصوم إذاعتها ونشرها أو قال بها البعض ممن لا يصل

علمهم إلى فهمها كتفسير الرعد الذي قالوا (أنه ملك موكل بالسحاب معه في مخاريق من نار يسوق بها السحاب وأن الصوت الذي يسمع هو زجره للسحاب حتى ينتهي حيث أمرت) أو أن (ق) هي أعلى قمة في الأرض ، هي من زمردة خضراء وخضرة السماء هي منه وأن ارتفاعها سفر خمسمائة سنة .. وهذه كلها تفسيرات خاطئة لا يلتزم بها المسلمون .. ولا يقرونها .. أما الحقيقة فان العلم الحديث قد أثبت أن القرآن الكريم قد سبقه إلى إيراد الحقائق العلمية في كل القطاعات وأصبح وجه الإعجاز العلمي للقرآن .. مما كتب فيه أساطين العلوم وقادة الفكر ونشر بكل لغة وتتداوله الجامعات في كل مكان من العالم .. ولا يتسع المجال حتى إلى الإشارة إلى بعض أسماء ما أخرجه العلماء من مجلدات في هذا الصدد .. فهي في متناول كل يد ..

وأما آراء القرآن بخصوص منشأ الكون والأرض والإنسان فليس كما يقولون بدائية ومنافية للعلوم بل إنه أورد الحقائق العلمية الثابتة لها قبل أن يصل إليها العلم بأربعة عشر قرناً من الزمان .

فعن منشأ الكون يقول القرآن أن الكون إنما كان سديماً من دخان بالنص الشريف :

(ثُمَّ اسْتَوَى إلىَ السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا آتَيْنَا طَائِعِين) .

(١١ سورة فصلت)

ويقرر العلماء أن الكون بدأ من غاز عالق به بعض مواد صلبة . وأن اللفظ العلمي الذي ينطبق على هذه الحالة والذي لا يوجد سواه .. ولا يدل على حاله غيره هو لفظ الدخان .

يقول القرآن الكريم سابقاً العلم بعشرات المئات من السنين أن الكون كان وحدة انفجر بشدة لسبب أو آخر ليكون وحدات السماء والأرض .. وقد اتفقت كل النظريات العلمية في هذه الحقيقة التي أوردها القرآن الكريم في النص الكريم :

(أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا) .

(٣٠ سورة الأنبياء)

وأورد القرآن الكريم مراحل تكوين الأرض وخطوات تطورها .. والتسلسل الزمني الذي حدث فيها .. وحدد شكلها تحديداً قاطعاً وواضحاً كما صورته الأقمار الصناعية بعد عشرات المئات من السنين من قول القرآن الكريم إذ تقول آياته الشريفة :

(وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا . مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ) .

(٣٠ ــ ٣٣ سورة النازعات)

ودحاها أي جعلها أشبه الأشياء بالدحية وهي البيضة وقد قرر العلماء بعد رجوعهم إلى ما سجلته الأقمار الصناعية إلى

أن الأرض ليست كاملة الاستدارة وأنها أشبه الأشياء بالبيضة أو الكمثري .. وقرر العلم الحديث أنه بعد أن أخذت الأرض شكلها وخرج منها الماء الذي كان يهطل عليها .. ويعود إليها تكونت المراعي في التربة التي أصبحت صالحة للزراعة .. ثم عن طريق رسوب الأحجار الذائبة .. تكونت الجبال .. وبعد ذلك مهدت الأرض لحياة الإنسان والحيوان .. وهو ما جاء في الآية الشريفة بنفس الترتيب .. ومن قال بتفسير غيره .. وثبت فيه الخطأ .. فان ذلك يرجع إلى المفسر .. لا إلى الآيات الشريفة وبخصوص نشأة الإنسان .. فان العلم عندما يبحث في أمر مادة من المواد فان أول ما يقوم به هو تحليلها ليقف على عناصرها .. وبتحليل جسم الإنسان في المعمل .. اتضح أنه يتكون من عناصر التراب تماماً وهو ما قاله القرآن الكريم في موضع كحقيقة لا تقبل الشك .. وهذه العناصر تمتاز بنوعيتها .. فهي من خلاصة التراب .. وليست مجرد حفنة من تراب الأرض وهذا ما قرره في موضع ثان .. والتراب إذا أضيف إليه الماء بقلة أصبح رطباً .. وإذا زاد أصبح طيناً وإذا جف أصبح يابساً او صلصالاً حسب درجة جفافه .. أما كيف يخلق الإنسان في وجوده المستمر فعن طريق اجتماع ماء الذكر وماء الأنثى .. فيخلق الإنسان من ماء إذا نظرنا إلى طريقة الخلق .. ومن تراب إذا نظرنا إلى تكوين جسم الإنسان .

وهكذا يثير الخصوم وسائل نشر عظمة القرآن الكريم وإعجازه .

تضارب عن القرآن

يقول بعض الخصوم في هجومهم على القرآن الكريم :

* ألف القرآن ورتب في عهد الخليفة العربي الثالث عثمان .

ويقولون أنفسهم في موضع آخر :

* كتب القرآن بأسلوب نثر شعري استعمل قبل قرن ونصف من ظهور الإسلام من قبل كهنة العرب .

وقالوا :

* مؤلف القرآن هو محمد غير أن تحليل ما تضمنه يسمح بتقديم الافتراض القائل أن بعض أجزاء تعود إلى عهد محمد ولكن أجزاء أخرى ترجع إلى عهود ما قبل محمد أو ما بعده .

وهكذا يتضارب الخصوم عن القرآن الكريم تضارباً شديداً تظهر معه سوء نيتهم ويتضح به عمق مغالطتهم .. فكيف يتفق قولهم بأن القرآن ألف في عهد الخليفة الثالث أي بعد موت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وموت خليفتين بعده .. وبأن مؤلفه هو محمد نفسه فيا ترى أي القولين قصدوا ؟ .

وكيف لا يؤمنون بأنه وحي الله وهم يعترفون بأن تحليل ما تضمنه يسمح بالقول أن بعض أجزاء منه ترجع إلى عهود ما بعد محمد .. إذ كيف يستقيم قولهم أنه من تأليف بشر أياً كان هذا البشر .. وأنه يحتوي على ما بعد الزمن الذي وجد فيه .. وأنه تنبأ بحوادث وقعت بعد أن قال بها .

أما أنه بأسلوب نثر شعري استعمل قبل قرن ونصف من ظهور الإسلام من قبل كهنة العرب .. فان الخصوم مع فرط هجومهم على القرآن لم يظهروا شبيهاً لقول القرآن إطلاقاً مما كان متداولاً في الحقبة التي أشاروا إليها .. وقد تحدى القرآن الكريم العرب أنفسهم بأن يأتوا بسورة من سوره .. وأن يستعينوا بجمعهم جميعاً وذلك بالنص الشريف :

(قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

(٣٨ سورة يونس)

وما أروع ما تحدى به القرآن الكريم .. لو اجتمعت الإنس جميعها . والجن كلهم متعاونين متساندين لا يمكنهم أن يأتوا بمثل ما جاء به القرآن الكريم وذلك بالنص الكريم :

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظهيراً) .

(٨٨ سورة الإسراء)

ولا شك أن هناك محاولات بذلت .. ولا شك أنها فشلت .. ولا شك أن هناك دراسات عميقة وطويلة ومتكررة ومتعددة قام بها العرب للقرآن الكريم .. فكانت النتيجة أنهم أسلموا .. بعد أن عجزوا أمام أسرار تراكيب القرآن وبديعه وبيانه .. وما كتب عن بلاغة القرآن وفصاحته من هؤلاء العرب .. ينفي نفياً باتاً هذا الادعاء .. فانه لا يعرف قدر أسلوب القرآن الكريم إلا من تكلم العربية .

وخلال الأربعة عشر قرناً من الزمان منذ أن نزل القرآن الكريم حتى الآن .. رغم تقدم العلم .. وانتشار المعرفة .. وتعدد أساليب البلاغة والأدب .. لم تظهر أية محاولة لمن يقول بمشابهة القرآن الكريم لأي أسلوب وضعي .. وطوال هذه المدة .. ورغم اتساع رقعة الفحص واختلاف أماكن البحث .. حيث شملت أبحاث علماء التاريخ والآثار كل المناطق العربية وما حولها .. بل العالم كله .. لم يكتشف الإنسان وجود أي ورقة تحتوي على سطر يشابه تركيبه تركيب القرآن الكريم . وهكذا يثبت بالأدلة المادية فساد هذا الادعاء ..

الناسخ والمنسوخ والمفقود

* مما يثيره الخصوم عن القرآن الكريم ما يدعونه أن آياته تناقض بعضها البعض وأن مفسري القرآن وحتّى المسلمين منهم يعترفون بوجود ٢٢٥ تناقضاً فيه قسموها إلى الناسخ والمنسوخ . الأمر الذي يسأل فيه الكثيرون عن حقيقة الأمر .. ؟

هذا الاتّهام الباطل يدحضه دليل إيجابي ملموس هو القرآن الكريم نفسه . فليس في آياته الشريفة .. وبين أيدينا وأيدي الخصوم .. ملايين النسخ منه .. أي تناقض أو تعارض .. ولم يقل أي إنسان بوجود هذا التناقض المزعوم .. أو التعارض المكذوب .. على طول الأجيال .. إنما قد تلقف الخصوم ما كتبه بعض المسلمين في اجتهاد منهم عن الناسخ والمنسوخ ليحاربوا الإسلام به .. وليقولوا على القرآن الكريم ما ليس بحق من وجود تناقض وتعارض بين آياته ..

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أنها جميعاً آيات متكاملة

مترابطة وأن ما ورد في بعضها من أحكام عامة .. جاءت آيات أخرى بتفصيل هذه الأحكام .. وأن ما ورد في بعضها من نص عام جاءت آيات أخرى ببيان حكم النص في ظروف خاصة وهكذا ليبين القرآن الكريم حكم كل أمر وفي كل ظرف .

والآيات التي ذكرها بعض المفسرين على أنها آيات ناسخة والآيات التي قالوا أنها منسوخة ليست كما يقول الخصوم أكثر من مائتين .. ولكنها لا تزيد على العشرين آية في أكثر الآراء وتقل عن ذلك في باقي الآراء .

ولو تدبرنا وتدارسنا هذه الآيات .. ما وجدنا بها نسخاً .. فهي ليست ناسخة لغيرها .. وليست منسوخة بأخرى .

فالآية الشريفة :

(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) .

(١٨٥ سورة البقرة)

ليست ناسخة للآية الشريفة :

(وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) .

(١٨٤ سورة البقرة)

فان الآية الأولى قد اوردت الأمر بالصوم عامة ولكن ما حكم من لا يستطع الصوم من مرض أو سفر .. لذلك فقد أوردت نفس الآية الحكم المفصل بالنص الكريم .

(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) .

وهناك فئة أخرى ليست مريضة وليست على سفر ولكنها لا تستطيعه من ضعف شديد لا يرجى زواله أو شيخوخة مسنة أو أسباب أخرى تجعل الإنسان لا يطيق الصوم .. فجاءت الآية الشريفة الثانية بالحكم في هذه الحالة .. وبذلك فلا نسخ .. ولا ناسخ .. ولا منسوخ كما يقال أن الآية الشريفة :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)
(١٨٣ سورة البقرة)

قد نسخت بالآية الكريمة :

(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) .
(١٨٧ سورة البقرة)

ومما لا يحتاج إلى إيضاح أو تأكيد أن الآية الأولى وقد فرضت الصوم على المسلمين فانما أكدت أن عبادة الصوم التي فرضت هذه ليست بدعة ولا مستحدثة إنما هي عبادة قديمة قد كتبها الله جل شأنه على عباده جميعاً منذ بدأ الخلق وفرضت للعبادات .. ولا يستلزم الأمر أن يكون الصوم واحداً منذ نزلت الديانات .. إذ لا شك أن نظام الصوم وطريقته ووقته .. قد اختلف من شريعة إلى أخرى ومن دين إلى دين فان الصوم في الإسلام يتم في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن بالنص الشريف :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلناسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) .

(١٨٥ سورة البقرة)

فيا ترى في أي شهر كان يتم الصوم قبل الإسلام ؟ .. وقبل أن تسمى الشهور بهذه التسميات ؟ . متى كان يصوم الإنسان .. وهل كان يصوم عن الأكل والشرب .. أم عن غيره .. فهناك صوم عن الكلام حدثنا عنه القرآن الكريم والذي قامت به السيدة العذراء مريم بالنص الكريم :

(فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنْسِيّاً) .

(٢٦ سورة مريم)

ولذلك اختلف الصوم في دين عن آخر .. تحقيقاً لصالح الفرد في الأجيال المختلفة إلا أن عبادة الصوم .. عبادة واحدة .. فرضها الله على عباده مهما اختلفت نظمها وهيآتها .. وأوانها ..

وعندما حدد الإسلام وقت الصوم وفرضه على المسلمين .. تطوع بعضهم بإجتناب زوجاتهم طوال شهر الصوم زيادة في التعبد .. وتأكيداً لابتعاد الجسم عن كل ملذاته .. وحرمانه .. من شهواته .. فنزلت الآية الشريفة التي تؤكد أن للإنسان أن يتصل بزوجته في شهر الصوم وبعد الإفطار حتى الإمساك ..

لأن في ابتعادكم عن زوجاتكم طوال الشهر انقاص لحظ نفوسكم وظلم لكم ولزوجاتكم فمن ارتكب هذا الظلم من قبل قد تاب الله عليه وعفا عنه .. كما أنها أوردت حدود الصوم ونظامه بالنص الكريم .

(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأسْودِ مِنَ الفَجر ثُمَّ أَتِمّوا الصِّيَامَ إلى اللّيْلِ) .

(١٨٧ سورة البقرة)

وهكذا . لانسخ .. ولا آية ناسخة .. ولا آية منسوخة .

وآية المواريث التي حددت انصبة مقررة لكل وارث من الآباء والأبناء والزوجات والأخوة والأخوات قيل أنها نسخت الآية الشريفة :

(إذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إن تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلى المُتّقِينَ) .
(١٨٠ سورة البقرة)

وكذلك الآية الكريمة :

(وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً) .

(٨ سورة النساء)

والنصوص واضحة .. والأمر جلي .. فان آية المواريث قد حددت تحديداً مفصلاً نصيباً مقرراً لكل وارث بينما الآية الأولى التي يقال أنها نسخت قد أوردت الحكم العام فان على كل إنسان يشعر بدنو أجله أو يريد أن يبرىء ذمته أن يعد وصيته .. وليس كتابة الوصية كما قد يتبادر للذهن أن يبدل أو يغير في أنصبة المقرر لهم الإرث .. ولكن ليحدد ماله .. وما عليه .. ويذكر كل ما قد يغيب عن أهله بعد موته .. من ديون له .. أو عليه .. وإن الوصية هي للوالدين والأقربين وهل تكون لغيرهم .. أو هل يرث الإنسان إلا أهله .. وأما الآية الثانية .. فانها تدعو .. كما تدعو آيات القرآن الكريم في أكثر سور .. إلى البربذوي القربى واليتامى والمساكين .. لا سيما من حضر قسمة الميراث فيعطيهم الوارثون مما أخذوا خيراً دون تحديد من القرآن الكريم لنصيب أو فرض عليهم لهم .. لتكون من أعمال البر الخالصة التي دعا إليها القرآن الكريم في مثل النص الكريم :

(لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ

وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وآتى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذوي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاة وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ في البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ) .

(١٧٧ سورة البقرة)

وهذا هو التكامل والتضامن الاجتماعي في الإسلام ..

وهكذا تكمل الآيات بعضها .. وتفصل الواحدة ما أجملته آية أخرى .. دون تناقض أو تعارض .. ودون نسخ .. أو تبديل .

وقيل أن الآية الشريفة :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ)

(٢١٧ سورة البقرة)

قد نسختها الآية الكريمة :

(وَقَاتِلوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً) .

(٣٦ سورة التوبة)

وهو ما لا يتمشى مع نصوص الآيات .. فان الآية الأولى تسأل عن زمان القتال وهو الشهر الحرام .. بينما الإجابة في الآية الثانية عن هيئة القتال بالأفراد .

أما القول بأن الآيات الشريفة التي وردت فيها الأشهر الحرم مثل :

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) .

(٣٦ التوبة)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الحَرَامَ) .

من تسخت بالآية الشريفة (٢ سورة المائدة)

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) .

(٢١٧ سورة البقرة)

فان تكملة الآية نفسها يورد الأسباب التي من أجلها يحل القتال في الشهر الحرام ونصها :

(قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كبيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ) .

(٢١٧ سورة البقرة)

فاذا قام العدو بصد المسلمين عن عبادة الله وحاربوهم

وطردوهم من أماكنهم وقاموا بكل أعمال الفتن فانهم يكونون قد قاموا بما يستوجب قتالهم حتى ولو كان ذلك في الشهر الحرام فان ما يقومون به أكبر من القتل .. وقد فعلوه في الشهر الحرام .. فوجب قتالهم ..

فليس في الآيات .. نسخ .. لا ناسخة .. ولا منسوخة ..

وقيل أن الآية الشريفة :

(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

(٢٤٠ سورة البقرة)

نسختها الآية الكريمة :

(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

(٢٣٤ سورة البقرة)

ومن النص يتضح أن موضوع الآية الأولى غير موضوع الآية الثانية .. وإن الآية الأولى توصي للمرأة التي مات زوجها بأن تقيم في بيت زوجها عاماً كاملاً .. مواساة لها .. وشفقة عليها ..

حتى يمكنها خلال العام أن تدبر أمرها وترسم طريقها .. فان خرجت بنفسها قبل العام فلا غبار على ذلك .. فقد تكون دبرت حالها .. وعلى من يتولى أمرها أن يتركها تتصرف في نفسها بما لا يخالف الشرع .. وأما الآية الثانية .. فهي تطالب المرأة التي مات زوجها وهي غير حامل أن تظل بلا زواج لمدة أربعة أشهر هلالية وعشر ليال بأيامها حتى تتأكد تماماً خلو رحمها من أي حمل سابق .. وحداداً على زوجها الذي مات .. ويمكنها أن تتزوج بعد ذلك .. فلا تعارض .. ولا تناقض .. ولا نسخ .. في الآيات .

ومثل أن هناك نسخاً في آيات عقوبة الزنا حيث أن الآية الشريفة :

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) .

(٢ سورة النور)

قد قررت الجلد وبمائة جلدة .. بينما آيات أخرى أوردت حكماً غير ذلك وهي الآية الشريفة :

(وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً) .

(١٥ سورة النساء)

والآية الكريمة :

(وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً) ؛

(١٦ سورة النساء)

والفارق الواضح بين هذه الأحكام .. هو بسبب فارق الجرم .

فالآية الأولى تقرر بصراحة ووضوح عقوبة الزنا .. والزنا .. جريمة أركانها معروفة .

أما الآية الثانية فانها تقرر عقوبة من تأتي الفاحشة من النساء .. دون أن تضبط في زنا .. كأن تعاكس الرجال .. أو تختلي بهم في أوضاع محرمة . أو حالات منكرة .. فهذه المرأة .. إذا شهد أربعة رجال على سوء سلوكها وإعوجاجها وأنها تأتي مثل هذه الفاحشة .. فالسبيل هو حبسها في بيتها تحصيناً لها .. إلى أن ينصلح حالها وتتزوج أو تموت .

أما الآية الثالثة فانها تقرر عقوبة المرأة التي تضبط مع رجل يحل لها أو يتواتر وجود صلة بينهما .. وتتضح وجود علاقة بينهما .. لم يثبت أن فيها زنا .. وأن المرأة ليست ممن ينشرون الرذيلة عامة وأنها تزامل شخصاً بعينه .. في علاقة مريبة .. ففي هذه الحالة .. يجب أذيتهما بما يحول بينهما وبين الاستمرار في هذا الشأن .. وبمنعهما .. من التلاقي ومطاردتهما فقد يتوبان وينصلح حالهما .. فيتركان لشأنهما بعد ذلك .

وهكذا أحكام مختلفة .. لأوضاع مختلفة .. وقضايا مختلفة ..
وليست فيها تناقض أو تعارض وليست ناسخة أو منسوخة ..
ولا نسخ فيها .

وقيل أن الآية الشريفة :

(وَإِنْ تُبْدُوا مَا في أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ) .
(٢٨٤ سورة البقرة)

قد نسخت بالآية الكريمة :

(لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) .
(٢٨٦ سورة البقرة)

ولا موضع للربط بين الآيتين .. فان الآية الأولى تقرر أن
الله سبحانه وتعالى يحاسب الإنسان على ما في نفسه .. أبداه ..
أو أخفاه .. وأن الآية الثانية تقرر أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف
الإنسان إلا ما يطيقه . ولم يكلفه بأكثر مما تتسع له طاقته ..
ومن ثم لا نسخ فيها .. لا ناسخة ولا منسوخة .

وقيل إن الآية الشريفة :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) .
(١٠٢ سورة آل عمران)

قد نسخت بالآية الكريمة :

(فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) .

(١٦ سورة التغابن)

ولو تبين الإنسان معنى كل من الآيتين ما وجد بينهما نسخاً .. إذ أن الآيتين تقرران حقيقة واحدة هي أن تقوى الإنسان قدر استطاعته هي حق التقوى .. فلا يمكن أن يطالب الإنسان بأكبر مما يستطيع .

وأما الآية الشريفة :

(انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ).

(٤١ سورة التوبة)

فلم تنسخ بالآية الكريمة

(لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَج) .

(١٧ سورة الفتح)

كما يرى البعض .. فان الآية الأولى قد أوضحت حكماً عاماً إذا ما هوجم الإسلام أو شعبه وهو أن يهب الجميع للدفاع بكل طاقاتهم وينفرون جميعهم للقتال أفراداً وجماعات ويبذلون أموالهم وأنفسهم في سبيل الله .. ولكن هناك الأعمى الذي لا يستطيع القتال وكذلك الأعرج الذي لا يتمكن من اللحاق بالمعركة وفرصة الحركة السريعة غير متاحة له وهناك المريض

مرضاً يحول بينه وبين الخروج للمعركة .. فهؤلاء أوضحت الآية أمرهم حتى لا يجد هؤلاء في أنفسهم أسفاً وحزناً على عدم استطاعتهم المساهمة في القتال فجاءت الآية الثانية لتبين الحكم لهم .. وبديهي أن الآية الثانية تكمل وتفصل الآية الأولى فلا فلا تناقض .. ولا نسخ .. فيهما .

وقيل أن الآية الكريمة :

(فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ)

(٤٢ سورة المائدة)

قد نسخت بالآية الشريفة :

(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ) .

(٤٩ سورة المائدة)

وإذا تدبر الإنسان معنى الآيتين لوجد أن الآية الأولى قد أوردت حكماً عاماً وهو أن للرسول صلى الله عليه وسلم إذا جاءه الكافرون ليحكم بينهم فان من حقه أن يحكم بينهم أو يعرض عنهم .. حسبما يرى مصلحة الدين .. وحسبما تقتضي الظروف .. وأما الآية الثانية .. فانها تحدد طريقة الحكم إذا ما رأى أن يحكم بينهم .. وهي أن يحكم بينهم بما أنزل الله .. دون نظر لرغباتهم أو أهوائهم .. فلا تعارض .. ولا نسخ ولا منسوخ. وانما آية توضح عمومية حكم أوردتها آية أخرى في ترابط وتوافق وتكامل .

وما يقال من وجود نسخ بين آيات الشهادة إذ تقرر الآيةَ الكريمة :

(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) .

(٢ سورة الطلاق)

ضرورة أن يكون الشاهدان من ذوي العدل من المسلمين

وتقرر الآية الشريفة :

(أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُم) .

(١٠٦ سورة المائدة)

التي تجيز أن تكون الشهادة من غير المسلمين .

فالآية الأولى ناسخة للآية الثانية .

وبمجرد أن يقف الإنسان على نص الآيتين لا يجد نسخاً فيهما .. ولم تنسخ أحداهما الأخرى .. وقد نزلت كل آية منهما في شأن خاص متغاير وفي ظروف مختلفة .. الآية الأولى خاصة بطلاق النساء و نصها :

(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوف أَوْ فَارِقُوهُنَّ بمعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) .

(٢ سورة الطلاق)

وفي هذه الحالة يلزم شهادة اثنين من المسلمين من ذوي

العدل وهذا حكم قاطع لا يجوز تعديله ولا أسباب اطلاقاً يمكن من أجلها النظر فيه ..

وأما الآية الثانية فهي بوصية الإنسان لمن يرثه إذا حل به الموت حيث يشهد على وصيته اثنان من المسلمين من ذوي العدل.. ولكن إذا وقع به الموت وهو في بلد لا يوجد بها من الكثرة المسلمة ما يحقق وجود شاهدين قريبين منه.. أو جاءه الموت وهو في طريق .:. فان الأمر يختلف ويجوز له أن يتخذ أي شاهدين .. طالما لم يتوفر له وجود الشاهدين من المسلمين .. ونص الآية هو :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُم إذَا حَضَرَ أَحَدَكُم الْمَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنَان ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُم إنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتم فِي الأَرْض فَأَصَابَتَكُم مُصِيبَةُ المَوْتِ) .

(١٠٦ سورة المائدة)

وقيل أن الآية الشريفة :

(وَلِلّهِ المَشْرِق وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

(١١٥ سورة البقرة)

قد نسختها الآية الكريمة :

(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ)

(١٤٤ سورة البقرة)

والجلي الواضح أن الآية الأولى تقرر حقيقة عامة ومؤكدة وهي أن الله سبحانه وتعالى في كل مكان وإن الإنسان أينما وجه وجهه فان الله معه يراه .. فهو جل شأنه الموجود في كل الوجود.. وأما إذا اتجه الإنسان إلى الصلاة .. فان الصلاة لها هيأة وأركان . وحتى يتوحد شعور المسلمين وتتألف قلوبهم . فقد طلب الله سبحانه وتعالى منهم بنص الآية الثانية أن يقفوا في الصلاة ووجوههم إلى المسجد الحرام .

وبذلك .. لا ناسخ .. ولا منسوخ .

وهكذا لا يمكن أن يقال بأي حال من الأحوال أن بآيات القرآن الكريم أي تناقض أو تعارض .. ولو تدبر الإنسان بفكر وتأمل ودرس الآيات الشريفة .. ما وجد نسخاً .. ولا إزالة ولا تبديلا .. فان النسخ معناه الإزالة أو الرفع .. أما الآية الشريفة التي تقرر وجود نسخ ونصها

(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) .
(١٠٦ سورة البقرة)

فانها تخص ما تتابع نزوله من آيات على مدى الأجيال الطويلة فان كل رسول أرسله الله جل شأنه إنما بعثه بآياته للناس وذلك بالنص الكريم .

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى حَتَّى يَبْعَثَ في

أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) .
(٥٩ سورة القصص)

فالآيات هي الأدلة وهي الشرائع وهي الأوامر التي أنزلها الله جل شأنه .. ولقد تعاقبت الأديان وتتابعت الآيات .. وتوالت الرسالات .. ولا شك أنه منذ آدم حتى آخر الرسالات التي نزلت وخاتم الاديان .. نزلت رسالات شتى وآيات عديدة .. تناسب كل منها ظروف الناس .. وتطابق حاجات الزمان .. وفي الحقبة الأخيرة وجدنا الشريعة اليهودية .. ثم المسيحية .. ثم الإسلام .. فلو أخذنا ما حدث في هذه الفترة القصيرة من عمر الزمان كمقياس لما كان ألا يشير ذلك إلى وجود عدة مئات بل آلاف من الرسل والأنبياء .. جاءوا برسالات سماوية متعاقبة .. وأرسلوا بديانات متلاحقة .. ولا شك أن ما كان يناسب حقبة من الزمن .. لا يناسب غيرها .. وما كان واجباً في وقت .. قد لا يجوز في وقت آخر .. وما ذلك إلا لمصلحة العباد .. فمثلا في شريعة آدم كانت الآيات تبيح زواج الأخ من أخته .. فحرمت ذلك .. الآيات بعد وكانت آيات التوراة تحرم العمل يوم السبت فنسختها آيات الإنجيل .. وهكذا إذا خالفت آيات في شريعة .. آيات سابقة . فانها جاءت بأفضل منها لتحقيقها مصلحة الناس .. أو بمثلها وبما يناسب ظروف الحال . وليست الأديان كلها .. نعلمها . بل نحن لا نعلم منها إلا القليل والقليل جداً .. فهناك مئات بل آلاف من الأديان السماوية التي نزلت قبل الثلاثة الأخـــيرة .. ولكن أنساها الله جل شأنه للناس .. هذه الآيات التي انساها

الله فلا يذكرونها إنما جاءت الآيات اللاحقة عليها في الكتب السماوية الأخيرة خير منها لصالح الناس أو مثلها .. وهذا هو ما يحققه النص الشريف .. إذ لا يمكن أن ينسى الرسول آيات من آيات الله وهو سبحانه يقول له ..

(لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) .

(١٦ – ١٧ سورة القيامة)

دلالة على أن الله سبحانه قد أمر بالقرآن فحفظه الرسول حفظاً مثبتاً قوياً .. كما أن الآية الكريمة :

(وَإذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) .

(١٠١ سورة النحل)

تشير كذلك في نصها الواضح إلى استبدال آيات في شريعة بآيات أخرى في شريعة تالية .. وحتى لا يخطر على بال إنسان أن التبديل في آيات القرآن الكريم نفسه فان الآية اللاحقة تماماً ونصها الشريف :

(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِكَ بِالْحَقِّ) .

(١٠٢ سورة النحل)

وبذلك لا يمكن أن يكون فيه تبديل .. كما أن القرآن الكريم يقرر ذلك في آيات أخرى وذلك في مثل النص الشريف :

(لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ) .

(٦٤ سورة يونس)

وهكذا يتأكد الأمر .. من أن لا ناسخ .. ولا منسوخ .. ولا نسيان آية .. ولا تبديل لها .. فالله حافظه من كل تغيير أو تبديل أو نسيان .

أما عن المفقود في القرآن فقد جاء في كتاب يهاجم الإسلام تحت عنوان (المفقود من القرآن) ما نصه .

لا شك أن المسلمين اليوم يقرأون ما تيسر من القرآن مما لم يفقد منه سواء كان بالنسيان أو النسخ أو التبديل أو الضياع أو الرفع أو غير ذلك ولعل فيما سبق الرد على الادعاء بالنسيان والنسخ والتبديل

وأما بالنسبة لما ضاع من القرآن بزعمهم فقد أورد الكتاب السند الآتي (روى عن ابن ماجه عن عائشة أن باقي سورة الأحزاب كان مكتوباً على رق موضوع تحت فراش محمد ولما مات محمد وذهبت عائشة لدفنه مع من ذهبوا رجعوا فوجدت داجن (جدي) ببيت الرسول قد أكل الرق بما فيه من وحي) .

ولو أن الكاتب رجع إلى أي سند من أسانيد التاريخ أو إلى أي مرجع من مراجع السير .. أو استعرض ما كتبه الخصوم قبل الأنصار أو تدبر وتأمل وتفكر في كيف جمع القرآن الكريم .. ما كتب هذه الفرية التي لا تنهض إطلاقاً ولا تقوم أصلا .. فان الرسول صلى الله عليه وسلم بالعقل والمنطق وبالتاريخ الثابت كان بعد أن ينزل عليه الوحي بالآيات ..

يستدعي صحابته وكتبة الوحي ليكتبوها فيحفظون جميعاً تلاوتها ويقفون على معانيها .. ويتدبرون أحكامها .. ولذلك فانه بعد أن تم نزول القرآن الكريم كان محفوظاً بأكمله في صدور آلاف الحفظة من المسلمين وبخط كتبة الوحي على مختلف أنواع ما يكتب عليه .. فاذا أكل الداجن بعض الرق مما كان عليه بعض آيات .. كما يدعي الكاتب .. فان هناك آلاف النسخ منها .. بكتابات أخرى .. وفي صدور الحفظة وقد جمعت الآيات كلها باتفاق جميع الحفظة وبمراجعة كل ما كان مكتوباً .. فلم تظهر زيادة.ولم يعثر على نقص..فضياع أصل مكتوب.. يقابله وجود مئات منه مكتوبة في ألواح أخرى..ومحفوظة فيالصدور..

وأورد الكتاب عن الرفع ما يلي (وجد في مصحف ابن عباس وفي مصحف أبي بن كعب سورتا الخلع والحقد ولكن عثمان حذفهما من مصحفه عندما أحرق جميع المصاحف) ... وهذه أكذوبة لا شك فان من بين المخلفات النبوية .. مصحف على رق غزال مكتوب بخط سيدنا على بن ابي طالب.. وهوفي متناول أيدي من يشاء .. بمسجد سيدنـــا الحسين .. وليس فيه ما قاله الكاتب عن سورتي الخلع والحقد .. وأي متدبر وكل من لديه ذرة من فهم لو اطلع على ما أورده الكتاب من نص لهذه السور التي يدعيها لوجد يقيناً وقطعاً أنها من تأليف الكاتب فهي ليست مما يتشابه مع القرآن الكريم فسورة الحقد كمـــا يدعي الكاتب أورد لها نصاً هو (اللهم إياك نعبد . ولك نصلي ونسجد . وإليك نسعى ونحفد . نرجو رحمتك

ونخشى عذابك . إن عذابك بالكفار ملحق) وسورة الخلع قال الكاتب أن نصها هو (اللهم إنا نستعينك ونستغفرك . ونثني عليك ولا نكفرك . ونخلع ونترك من يفجرك) .. فهل هذ مما يتشابه مع القرآن الكريم ؟ .

ولعل الكاتب قد نسي ما سبق به زميل له عندما قال إن هناك سورة رفعت أيضاً من القرآن الكريم هي سورة الضفدعة والتي نصها (يا ضفدعة يا بنت ضفدعين نقي كما تنقين نصفك في الماء ونصفك في الطين . لا الطين تأكلين .. ولا الماء تعكرين) .. وبعد أن كتبوها وجدوا أنها كذبة واضحة .. وفرية رخيصة .. فتوقفوا عن نشرها .. واستبدلوها بسورتي الحقد والخلع كما يفترون .

وهكذا يتأكد الأمر .. فلا نسخ ولا منسوخ .. ولا تبديل ولا نسيان ولا ضياع ولا رفع .. إنما هو قرآن كريم . . حفظه الله .. ومن لحظـــة ما تلاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى الآن وحتى قيام الساعـــة هو القرآن الكريم الذي لم يتغير منه الحرف الواحد .. بالزيادة أو النقصان .

وليس أقطع لهذا الرأي من النص الكريم :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

(٩ سورة الحجر)

عن سيدنا رسول الله

علاقة الرسول بالنساء

يتهم الخصوم النبي صلى الله عليه وسلم بالشهوة الجامحة والميل إلى النساء .. ويقدمون دليلا على رأيهم بتعدد زوجاته .. ودليلا آخر باستيلائه على زوجة أحد صحابته .. حيث ذهب إلى منزل زيد بن حارثة لأمر .. وتصادف أن كان زيد غائباً .. فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم زوجتهزينب بنت جحش في ثياب أظهرت مفاتنها وأبدت محاسنها .. فوقع حبها في قلبه في التو واللحظة حتى قال (سبحان مقلب القلوب) .. ثم عمد إلى طلاق زينب من زيد وتزوجها الرسول .. هذه هي القصة التي أشاعها الأعداء والخصوم وتناقلتها كافة كتاباتهم .. وذكرتها جميع نشراتهم .

إن هذا الاتهام الذي يركز عليه الخصوم في هجومهم على الإسلام ونبي الإسلام .. والذي بالغوا في نشره وتغنوا في إذاعته .. وأوردوا فيه القصص الوضعية .. وتخيلوا الروايات الوضيعة .. لا ينفيه قول .. أو دفاع .. ولا يدحضه رأي .. أو

اجتهاد .. إنما تهدمه الحقائق الثابتة وتناقضه الأدلة الأكيدة .. والتي أوردتها كتابات الخصوم .. وجاءت بها دراسات الأعداء

فان الدراسات العلمية لحياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقائع التاريخية الواردة التي اتفق عليها الخصوم والاتباع والتي أجمعت عليها كافة كتب السيرة التي كتبها الأعداء وذكرها الخصوم .. كلها تقرر بوضوح .. وفي قوة وحق .. كذب هذا الاتهام تماماً .. ومجافاته للحقيقة يقينا .. بل وأن هذا الاتهام هو عكس ما كان عليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. فكأنهم أرادوا إمعاناً في الضراوة في حربه أن يتهموه بعكس ما كان عليه .. فالأدلة عديدة وكثيرة وثابتة في التاريخ وكلها تكذب هذا الاتهام ومن هذه الأدلة القاطعة والثابتة :

* لم يكن للرسول وهو في شبابه أي اهتمامات بالنساء . ولم تعرف عنه في فترة مراهقته نزوة واحدة من نزوات الشباب . وقد لقب منذ حداثته بالصادق الأمين .. وبديهي أن ظروف المكان والزمان الذي نشأ فيه الرسول ما كانت تسمح إطلاقا أن يتخفى أي انسان بحيث لا يعرف قومه وعشيرته .. وهم قلة وفي مكان مفتوح هو الصحراء .. حقيقة تصرفه .. ولو عرفوا عنه ما يشين .. ما سموه الصادق .. وما سموه الأمين .
* ظل أعزب لا يبحث عن زواج حتى بلغ الخامسة والعشرين .. وكان السائد في زمانه هو الزواج في سن مبكرة وبمجرد البلوغ في أوائل العشرة الثانية من العمر .

* لم يسع للزواج .. وإنما خطبته لنفسها السيدة خديجة بعد أن اختبرت أمانته في عملها وإخلاصه في تجارتها .. وكانت من أغنى القوم في قريش .. بل أن تجارتها كانت تعدل تجارة قريش كلها .. فلو علمت عنه صلى الله عليه وسلم انحرافاً ما اختارته لنفسها .. وما ارتبطت به زوجاً .. وهي من يسعى إليها الرجال .. كل الرجال .
* كانت السيدة خديجة وقت أن اختارت سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم زوجاً لها في الأربعين من عمرها .. ثيبا .. قد سبق لها الزواج مرتين من قبل وتوفي زوجاها .. بينما كان الرسول في الخامسة والعشرين من عمره .. وليست السيدة بهذا السن .. تكون مطمعا لمن يهوى النساء ويتعلق بهن لاسيما من شاب في هذا السن .
* لم يتزوج الرسول على السيدة خديجة طوال حياتها .. رغم أنها لم تلد له إلا الإناث وكان المتبع تعدد الزوجات لاسيما لطلب الولد .. فلو كان الرسول كغيره لوجد بسبب أنجاب الإناث فرصة للزواج ولكنه لم يفعل .
* استمرت حياته الزوجية مع السيدة خديجة حتى توفيت ولها من العمر خمسة وستون عاماً وهو سن لا يحقق للرجال أي متعة نسائية وليس فقط عند هذا السن .. بل وقباه من سنين .. بينما كان الرسول في سن الفتوة واكتمال الشباب .. وعاش هذا الشباب والفتوة معها مما يقطع بأنه عازف عن كل ما بغري الرجال من النساء .

* وبعد وفاة السيدة خديجة وكان الرسول في الخمسين من عمره لم يفكر في الزواج ولم يسع إليه فبديهي أن الرجل الذي تزوج ووصل إلى هذه السن لا يصبح تواقاً للزواج كمن لم يسبق له الزواج .
* تحت إلحاح صحابته عليه للزواج حتى يجد من تقوم على خدمته والإشراف على بيته وحتى يجد المسلمون والمسلمات بيتاً مفتوحاً .. يأكلون فيه .. وتسأل المسلمات سيدة عما يبغين وافق على الزواج .
* اختار لزواجه سودة بنت زمعة وهي أرملة سبق لها الهجرة مع زوجها إلى الحبشة وهاجرت ومات زوجها وتركهاعجوز كبيرة السن .. ضامرة الجسد .. ليس فيها ما يشتهيه الرجال .. فزواجه لم يكن بسبب المتعة النسائية ولا حب المرأة .
* ما تم من زواج للرسول بعد ذلك فكان لأسباب سياسية داخلية كربط الصحابة بعضهم ببعض وبه .. أو لاثارة الحماس بين القوم للدفاع عن الإسلام حيث ستجد كل أرملة من صحابي أو مسلم أو من الرسول نفسه الزوج والأب لأولادها .. لأسباب سياسية خارجية كزواجه وزواج صحابته من الأسارى من بنات الملوك والأمراء رحمة بهن وشفقة عليهن ولكسب ود أقوامهن .
* تؤكد الدراسات العلمية أن الإنسان إذا أصابه الكد .. واشغله السعي .. وألح عليه الفكر أثر ذلك على طاقته الجنسية وانصرف عن المتعة النسائية .. ولقد كان الرسول صلى الله

عليه وسلم في قمة العمل .. يجهر بدعوة تخالف ما عليه أهله .. يحاربه قومه .. يحاربه العالم ويدافع عن نفسه وعـن صحابته .. يلتقي كل لحظة بعشرات المسلمين .. ويجتمع كل يوم ببعثات المستفسرين .. ينظم أمر الدولة .. ويرعى شئون الرعية .. يستقبل الوفود .. ويعد الجنود .. يفكر في الدفاع .. ويرسم طريقه .. يخطط للمعارك .. معاركه مع العالم بأجمع .. يدبر المال الذي يحتاجه أمر دولة ناشئة يحاربها الجميع .. أينصرف هذا العقل إلى النساء .. أيفكر مثل الرجل في الجنس .. وأين له الوقت .. والإمكانية .. لذلك فقد ظل منذ أن بدأ بالدعوة وهو في الأربعين إلى أن ماتت زوجته وهو في الخمسين زوجاً لزوجته المسنة .. السيدة خديجة دون أن يفكر في الزواج عليها .. ثم عندما تزوج .. بعدها تزوج الأرملة المسنة .

أما الادعاء باستيلائه صلى الله عليه وسلم على زوجة أحد صحابته .. عندما رآها في ثياب تكشف عن جمالها . وقد ذهب لزيارة منزلها .. وقوله (سبحان مقلب القلوب) .. فهو من سلسلة الإفك والاتهامات الكاذبة .. فان حقائق هذه القصة كما رواها التاريخ وكما جاءت في القرآن الكريم لتكذب هذا الادعاء وتهدمه من أساسه .. فيقول القرآن الكريم :

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ

أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدعِيَائِهِم إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا) .

(٣٧ سورة الإحزاب)

وهكذا .. حكمة في التشريع .. ومحاولة من النبي لعدم طلاق زيد لزوجته .. ولكن لا بد من أن يعلن هذا التشريع .. والحقائق الثابتة في هذه القصة هي :

* كان للسيدة خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم عبداً مملوكاً لها اسمه زيد بن حارثة اشترته بمالها .. وقد أهدته للرسول بعد زواجها .. حيث اعتقه صلى الله عليه وسلم وجعله حراً كغيره من الناس .
* كوسيلة إيجابية لاعلان مساواة من كان عبداً واعتق بمن كان طوال حياته حراً زوج الرسول زيد بن حارثة .. بزينب بنت جحش حيث لم يكن العبد الذي اعتق يستطيع الزواج إلا بمثلـــه .
* لم يكن للسيد أن يتزوج ممن كانت زوجة عبد .. وبمقتضى المساواة التي اعلنها الإسلام بين الناس كان لا بد من عمل إيجابي ليتزوج الحر بمن كانت زوجة لعبد .. وكانت الأسوة الحسنة أن يتزوج الرسول بزينب بعد أن طلقها زيد ليكون تشريعاً وبعد أن حاول الرسول أن يثنيه عن طلاقها .
* زينب بنت جحش هي حفيدة عبد المطلب .. جد النبي ..

فهي ابنة عمة الرسول .. عاش معها وهي عذراء .. فلو كانت عنده أية شبهة من رغبة فيها لتزوجها .. وهي من تصالح له .. وهو أفضل من يتقدم لها .. فهي ابنة عمته .. وهو ابن خالها .. فكيف يرغب فيها .. بعد أن تزوجت ..

* متى كان الرسول يسير منفرداً ؟ وقد كانت الصحابة والأتباع لا يتركونه لحظة من زمن .. فكيف يذهب لزيارة رجل غائب وحده ؟ . والتاريخ يروي أن الأتباع والصحابة كانوا ينتظرونه أمام غرفة نومه منذ أن يبدأ الليل في الرحيل .. ولا يتركونه إلا عندما يأوي إلى فراشه ثانية في الليل القادم ؟

إنه لخيال سقيم .. وتفكير غير سليم .. ومنطق معكوس .. وفرية ظالمة وأقوال كاذبة .. كغيرها ممن حاربوا بها الإسلام .. ونبي الإسلام .

محمد بين الخصوم والاتباع

ما أكثر ما كتب عنه .. صلى الله عليه وسلم .

فان ما كتب يزيد عما كتب عن كل من هم سواه لا بأرقام مفردة بل بأضعاف مضاعفة .. وكل ما كتب عن الرسل والنبيين جميعاً على امتداد كافة الأجيال يزيد عليه ما كتب عنه صلى الله عليه وسلم .

ولقد بالغ الخصوم في الكتابة عنه نوعاً .. وكما .. وكانت هذه الكثرة في الكتابة والإفراط في المبالغة من أسباب إسلام البعض .. إذ لا يمكن أن يكون هذا الدين واهياً .. ومن يدعو إليه واهماً وتتابع ضدهما هذه الحملات المحمومة . وتتوالى لحربهما هذه النشرات المسعورة .. وتظل هذه الحروب والاتهامات مئات السنين .. يتزايد فيها الهجوم .. وتتضاعف فيها الأكاذيب. ولا تنال من الدين شيئاً . ولا من الرسول هدفاً .. لذلك فإن البعض اتجه إلى دراسة هذا الدين دراسة جادة .. وتتبع حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تتبعاً محايداً .. فوجدوا

الدين الحق .. والنبي الصادق الأمين .. فأمنوا وأسلموا .

ولقد افترى الخصوم عليه صلى الله عليه وسلم افتراءاًواضحاً وصريحاً .. وأسلم بعضهم كذباً وغشاً ليسيروا في ركب المسلمين مكراً وخداعاً .. ويدسوا على الإسلام .. ويفتروا الحكايات والقصص .. ويضعوا الأحاديث .. ظاهرها .. غير باطنها .. فلما تداول المسلمون هذه الأقوال .. ووضعوها في كتاباتهم بحسن نية .. هاجم الخصوم الإسلام بهذه الأقوال .. على أنها من أصول الإسلام .. ومن كتابات المسلمين .

وما يكتبه الخصوم عن نبي الإسلام .. فأمره هين .. فهم أعداء ألداء .. وخصوم غير شرفاء .. وهدفهم مفهوم .. وما يفترون به ليس في حاجة إلى تعليق .

فانهم قالوا .. إن وجود محمد التاريخي غير قابل للتأكيد .. وقالوا إنه ساحر مؤله .

وهذا تناقض يهدم قولهم .. والأدلة المادية الملموسة على وجود سيدنا محمد لا تقع تحت حصر .. ونسبه وذريته .. قبره ومخلفاته الكتاب الذي تلاه .. والإسلام الذي دعا إليه .. وأما أنه مؤله .. فانهم قالوا أنه بعد أن مات سيدنا رسول الله .. ارتقبت الجموع أن يقوم من قبره أو ينزل من السماء .. فلما لم يحدث حصلت ردة .. وخرج الناس من الإسلام .. وهذا افتراء واضح فان المسلمين منذ أن تلى عليهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم وهم يعلمون بنص الآيات الكريمة التي استمعواإليها وحفظوها وآمنوا بها وعملوا بها أن الرسول بشر سيموت

كما يموت الناس وذلك بالنص الشريف :

(وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَو قُتِلَ انْقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجزي اللهُ الشَّاكِرِينَ) .

(١٤٤ سورة آل عمران)

ولعل الأمر لا يحتاج إلى تعليق بعد الآية الشريفة القاطعة لموت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي نصها الكريم :

(إنَّكَ مَيِّتٌ وَإنَّهُمْ مَيِّتُونَ)

(٣٠ سورة الزمر)

فمن يعتقد بعد ذلك أن سيدنا محمداً ان يموت أوأنه سيقوم من قبره .. أو ينزل من السماء ؟ .. أما أنه بشر فقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة .. واعتقدها المسلمون ولا شك عندهم في هذه البديهة فتقول الآيات الشريفة :

(قُلْ إنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إلَيَّ أَنَّمَا إلاَهُكُمْ إلهٌ وَاحِدٌ) .

(١١٠ سورة الكهف)

وأما ما يحاربنا به الخصوم مستندين فيه إلى أقوال وردت في بعض كتابات المسلمين فهو ما يحتاج إلى عمل سريع

وحاسم .. فكل ما جاء في مثل هذه الكتب ويحاربنا به الخصوم انما دسه أصلا أعداء الإسلام في أجيالهم المختلفة وتركـــوه ليستفحل أمره في أجيال لاحقة عليهم ثم يستندون إليـــه في حربهم للإسلام على أن هذا هو رأي الإسلام وهذا اعتقـــاد المسلمين .

فقد جاء في إحدى نشرات هؤلاء الخصوم نقلا عن مؤلف إسلامي متداول أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أبلغ السيدة خديجة زوجته الأولى وهي تحتضر أن الله قد أخبره بأنـــــه سيتزوج في الجنة مريم ابنة عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون .. فردت عليه خديجة وهي تلفظ آخر أنفاسها بقولها ــ بالرفاء والبنين .. فهل قال سيدنا رسول الله ذلك ؟ .. وهل في موقف زوجة تحتضر يقول أي زوج مهما كان مثل هذا القول ؟ . . .

ويتمسك الخصوم بما جاء في أحد الكتب المتداولة بين المسلمين في تفسير الآية الشريفة :

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

(٥٤ سورة النساء)

ونص التفسير (يحسدون الناس) أي النبي صلى الله عليه وسلم (على ما آتاهم الله من فضله) من النبوة .. وكثرة النساء .. وأني لأستغفر الله لي ولك ولمن قرأ هذا التفسير من المسلمين

ونقله بحسن نية إذ لا يقول به مسلم .. فهل يطلق لفظ الناس .. وهي دائماً تخص الجمع على رسول الله ؟ وأين النساء وكثرتها في الآية ؟ .. وبتكملة الآية الشريفة فان نصها الكريم هو :

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً) .

والآية تخص الكفار والمشركين الذين يحسدون العرب لما أتاهم الله من فضله بأن جعل النبوة بينهم في واحد منهم وهو سيدنا رسول الله وليس من قبائلهم ولقد كانت النبوات سابقاً في قوم ابراهيم وهم من نسله ولم يؤمنوا بهم رغم أن الله سبحانه وتعالى آتاهم نبوة وملكاً كبيرا فالآية لا تخص نساء .. ولا تتعرض لسيدنا رسول الله بطريق مباشر .. وإنما تخاطب قوما كفروا ويحسدون قوماً ظهرت النبوة فيهم .

* يسأل البعض عن حقيقة قصة الغرانيق .. وهل حدثت؟ ..

وقصة الغرانيق التي تتداول في كتب المسلمين ونصها (أن محمداً لما رأى تجنب قريش إياه وأذاهم أصحابه تمنى فقال ليته لا ينزل علي شيء ينفرهم مني وقارب قومه ودنا منهم ودنوا منه . فجلس يوماً في ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ عليهم سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى) فقرأ بعد ذلك : تلك الغرانيق العلا . وأن شفاعتهن لترتجى . ثم مضى وقرأ السورة كلها وسجد في آخرها.

هنالك سجد القوم جميعاً لم يتخلف منهم أحد . وأعلنت قريش رضاها عما تلا النبي وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده . أما إذ جعلت لها نصيباً فنحن معك . وبذلك زال وجه الخلاف بينه وبينهم ، وفشا أمر ذلك في الناس حتى بلغ أرض الحبشة فقال المسلمون بها : عشائرنا أحب إلينا. وخرجوا راجعين حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباً من كنانة فسألوهم فقالوا : ذكر الهتهم بخير فتابعه الملأ . ثم ارتد عنها فعاد لشتم الهتهم وعادوا له بالشر. وائتمر المسلمون ما يصنعون فلم يطيقوا عن لقاء أهلهم صبرا فدخلوا مكة .

وإنما ارتد محمد عن ذكر آلهة قريش بالخير في مختلف الروايات التي أثبتت هذا الخبر لأنه كبر عليه قول قريش (أما إذ جعلت لآلهتنا نصيباً فنحن معك ولأنه جلس في بيته حتى إذا أمسى أتاه جبريل فعرض النبي عليه سورة النجم فقال جبريل : أو جئتك بهاتين الكلمتين ؟ .. مشيراً إلى .. تلك الغرانيق العلا .. وأن شفاعتهن لترتجى . قال محمد : قلت على الله ما لم يقل . ثم أوحى الله إليه .

(وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً . وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلا . إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ

لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً)

هذه القصة بهذا النص متداولة في كتب السيرة .. وفي بعض كتب التفسير .. ويحاربنا بها الأعداء . .

وإذا استخدم الإنسان العقل واستعمل المنطق في مناقشة هذه القصة لوجد أنها قصة مكذوبة تماماً .. واضح أمرها .. ظاهر دسها على النبي صلى الله عليه وسلم..فلقد لقي قبل ذلك الكثير من العنت والكرب .. والبالغ من الاضطهاد والحرب .. وما تكاسل عن دعوته وما تراجع عن موقفه .. فكيف بين عشية وضحاها يتخذ هذا الموقف العجيب الغريب .. والرسول لم يقرب الأصنام في حياته حتّى قبل بعثه وقامت الدعوة وأساسها هدم هذه الأحجار التي قال لقومه عنها إنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع.. فكيف يظن أي إنسان .. مهما كانت درجة تفكيره .. أن الرسول يقول بعد ذلك إن هذه الأحجار شفاعتها ترتجى ؟ ..

وسياق القصة يقضي بأن هذا القول استمر وقتاً طويلا حتّى أنه وصل إلى المهاجرين في الحبشة وناقشوه .. وتداولوا أمره .. ثم قرروا أمراً .. وسافروا من الحبشة إلى مكة .. مدة تقارب العام ولا تقل عن عدة أشهر .. فكيف لا ينزل الوحي طوال هذه المدة لتصحيح العقيدة من وثنية لحقت بها .. ؟ كما أن القصة تذكر أن جبريل لما أتى النبي بعد ذلك لم يفاتحه في هذا الشأن .. بل إن الرسول هو الذي عرض عليه سورة النجم بما فيها من الكلمات غير الصحيحة .. أمر لا يقبل .. وتصرف لا يعقل ..

وهل يعقل أن يقف سيدنا رسول الله الصادق الأمين هذا الموقف الذي يقول فيه على الله ما لم يقل .. وهو الذي نفر وثار يوم أن مات ابنه ابراهيم وكسفت الشمس وقال القوم (حزنت الشمس لموت ابراهيم) فقال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس والقمر آيتان من آيات : الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته . فاذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله بالصلاة » وقد أعلن جميع الكتاب والمؤرخين بما فيهم غير المسلمين اعجابهم وأكبارهم لمحمد لموقفه هذا إذ لا يرضى في أدق المواقف إلا الصدق والحق .

فهل من قال هذا . . يقول ذاك .. ؟ ..

والمتدبر للآية الشريفة .. يجد أنها لا تؤيد هذه القصة .. ولا تقوم دليلا على وقوعها . بل إنها تنفيها تماماً .. فان لفظ (كادوا) معناه أرادوا كما تقول المراجع اللغوية وبذلك فان الآية تقول بما معناه أن الكفار أرادوا إغراءه صلى الله عليه وسلم عن صلابة الدعوة واستقامتها وهذا هو الشأن دائماً مع كل نبي ورسول .. بل هذا هو الشأن مع كل المصلحين .. إذ يحاول أصحـــاب المصالح استمالة هؤلاء القادة بمختلف الوسائل .. حتى يحتفظوا بجاههم وسلطانهم .. ومما هو ثابت ومعروف ومؤكد أن هؤلاء الكفار طلبوا من الرسول أن يجعل أرضهم حراماً كـــالبيت الحرام .

وطلب السادة أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس الفقراء .. وألا يتساوى السيد مع العبد في الأحكام وأن يتحمل العبد العقاب

عن سيده .. وفي مقابل ذلك فانهم يعلنون إسلامهم ودخولهم في الدين الذي يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم .. وكل ما يخالف تماماً ما أوحى الله به لنبيه وأما الآية الثانية فتقرر أن الله سبحانه ثبت رسوله بالحق ولفظ (كدت) معناه كما تقرر المراجع اللغوية (قاربت ولم تفعل) .. فان الرسول عندما فكر فيما يقولون .. وقارن بين ما يصيب الدعوة من دخولهم في الإسلام .. وبين ما يطلبون .. إن هذا التفكير هو اقتراب في اتخاذ القرار دون أن يحدث فعلا أي قرار .. وكل ما كان موضوع المساومة هو المحافظة على سلطات هؤلاء الكفار والطبقية التي يعيشون فيها ولم تكن عبادة الله .. أو الإيمان بالأصنام موضع بحث أو مساومة اطلاقاً فان أمر العبادة .. لا يحتاج إلى حل وسط .. إما عبادة الله .. أو عبادة الأصنام ولا ثالث لهما ولا وسط بينهما .. ولكن الله سبحانه وتعالى ثبت رسوله على الحق .. فدخول هؤلاء وأمثالهم لا يهم دعوة .. الله سبحانه وتعالى أرادها .. وأيدها .. وهذه المحاولات ليست قاصرة على الدعوة الإسلامية ولكنها تمت لكل الرسل والنبيين فهذه هي طبائع البشر ولذلك نجد الآية التالية تقرر ذلك بالنص الشريف :

(سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)

والقرآن الكريم يقطع بكذب هذه القصة تماماً فما كان محمد لينطق بما لم يكلمه الله .. ويفتري عليه لهوى في نفسه .. أو

ضلالا منه .. بنص الآيات الشريفة :

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) .

(١ – ٣ سورة النجم)

وهكذا تنفي الآيات الشريفة .. هذه القصه تماماً .. ولا تقيم دليلا على وقوعها .. ولكن هي الدليل على كذبها .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن جميع كتب التاريخ أصولها وفروعها .. قديمها وحديثها .. وكافة السير والتراجم الصادق منها والمزاد عليها .. لا توجد فيما أوردته من أسماء أو صفات لأصنام .. أي صنم أو صفة لصنم بلفظ غرنوق كمفرد أو غرانيق كجمع .. كما لم يستعمل أبداً لفظ غرانيق للدلالة على أصنام .. أو ما يماثلها .. أو يقاربها وتقرر المراجع اللغوية أن الغرانيق لغة هم الشبان النُعَّم .. فلا صلة إذا بين الغرانيق والأصنام .

* تتداول الأقوال عن قصة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم فهل شق مرة أو مرتين أو أكثر من ذلك حيث اختلفت الكتب في العدد .. وهل من حكمة لهذا الشق ؟ ..

لقد أصدرت إحدى الجامعات بالخارج كتاباً لمحاربة الإسلام لم تستند فيه إلا على قصة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم .. وناقشت هذه القصة على اعتبار أنها من أصول الإسلام ومعتقدات المسلمين .. وقصة شق الصدر واردة في كتب السيرة

وكتب السنة.. على أنها من الأحاديث الحسنة الإسناد أي التي مرتبتها دون مرتبة الأحاديث الصحيحة .. وتقول أغلب الكتب أنه تم شق صدر النبي ثلاث مرات ففي المرة الأولى نجد النص :

(عن عتبة بن عبد السلمي أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : كانت حاضنتي من بني سعد بن كعب . فانطلقت أنا وابن لها في بهم (أي غنم) لنا ولم نأخذ معنا زاداً . فقلت يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا . فانطلق أخي ومكثت عند البهم وأقبل طيران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو قال : قال : نعم فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني إلى القفا فشقا بطني . ثم استخرجا قلبي فأخرجا منه علقتين سوداوين . فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة (أي الطمأنينة) فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه : خطه (أي ليرتق مكان الجرح) فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة (وهي قطعة لحم بارزة عليها شعيرات كانت عند كتفه الأيسر) فقال أحدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة فاذا انظر إلى الألف فوقي اشفق أن يخر عليّ بعضهم . فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا وتركاني وفرقت (أي خفت) فرقاً شديداً ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيته فأشفقت عليّ أن يكون ألبس بي قالت أعيذك بالله .. فرحلت بعيراً لها فجعلتني وقال يزيد فحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى

أمي فقالت أو أديت أمانتي وذمتي ؟ . وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها ذلك فقالت : (إني رأيت خرج مني نوراً أضاءت منه قصور الشام) .

وعن شق صدر النبي للمرة الثانية يقول النص :

عن أبي بن كعب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان جريئاً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت في أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً وقال (لقد سألت أبا هريرة إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟ قال نعم فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مساً فقال أحدهما لصاحبه اضجعه فأضجعاني بلا قسر (أي قهر أو إجبار) ولا هصر (أي بلا ثني للظهر) وقال أحدهما لصاحبه : إفلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له : أخرج الغل والحسد فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها . فقال له : أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذي أخرج يشبه الفضة . ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال أغد وأسلم فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ورحمة للكبير) .

أما الشق للمرة الثالثة فنصه :

عن ابن شهاب قال أنس بن مالك كان أبي بن كعب يحدث

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه)

والمتدبر لهذه النصوص يجد أنها إما أن تكون مما كتبه الخصوم ليحاربوا به الإسلام كما هو حادث أو وضعها بعض القصاصين من المسلمين إظهاراً لما ميز الله به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريره من كل الصفات الرذيلة .. ثم تداولها المسلمون وتناقلوها معجبين بظاهرها .. فان حادث شق الصدر لو وقع فانه يقع مرة ولا يتكرر .. وإلا فهل بعد كل شق يعود القلب مرة أخرى وهو في حاجة إلى شق مرة أخرى ؟. كما أن الصفات الرذيلة وكذلك الصفات الحميدة ليست بالماديات التي تستخرج أو تضاف .. وإنما هي معنويات لا تتم بالوسائل المادية التي أوردتها النصوص .. والصفات ليست مكانها عضلة القلب .. فليس به إلا الدم السائل الذي يجري داخل غرفه .. وأي أثر لأي مادة غريبة في الدم تقضي على القلب وتعطل حركته وتسبب موته .. كذلك فان شق البطن كما ورد في النص لا يؤدي إلى القلب ولا يستخرج منه .. كما أنه بعد خياطة مكان الشق وختمه بخاتم النبوة لا يمكن أن يكون الخاتم على الكتف كما ورد في القصة لبعد الكتف عن مكان الشق في البطن أو الصدر .

والأغلب على الظن إن كان للقصة أصلها فهي رؤيا منامية أراد سبحانه وتعالى بها أن يخبر رسوله بأنه جرده من الأنانية والحقد والحسد .. إذ لو وقعت الحادثة كما تروى لأوردها

القرآن الكريم .. فان آياته الشريفة قد أوردت ما وقع للرسول من أحداث كالإسراء والمعراج والذي لم يرد في نصوصها الكريمة أية إشارة إلى شق الصدر .. بل أوردت آياته الشريفة ما وقع للرسول من أحداث أقل شأناً من شق الصدر كاختبائه وصاحبه في الغار عند الهجرة .. أما استناد البعض إلى أن القرآن الكريم قد أيد هذه القصة بالآية الشريفة :

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) .

(١ سورة الشرح)

فان معنى الشرح هو اتساع الصدر لتلقي الحق ومعرفته .. وقد اتسع صدر النبي صلى الله عليه وسلم اتساعاً يدل عليه صبره الطويل .. وجهاده الكبير .. ومواقفه من خصومه .. وهجرته ثم عودته .. وبره وعفوه حتى عمن ظلمه .. ولذلك فان الأنبياء والرسل دائماً في حاجة إلى اتساع صدورهم وهذا ما دعا به سيدنا موسى ربه عندما كلفه بالدعوة إذ قال بنص الآية الشريفة :

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) .

(٢٥ سورة طـه)

أقول هذا برأيي والله أعلم . .

ولعل من اهم ما يجب على المسلمين بحثه .. واتخاذ موقف قاطع وحازم منه .. ما يتناقله المسلمون ويتداولونه في كتب السيرة

من شدة فقر الرسول صلى الله عليه وسلم بمثل الأحاديث :
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير) .

ورأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل (وهو التمر الرديء) ما يملأ بطنه .

(كنا آل محمد نمكث شهراً ما نستوقد بنار إن هو إلا التمر والمـــاء)

والروايات العديدة التي تقول إنه كان يربط الحجر على بطنه من الجوع أو أنه كان (يخصف نعله ويرقع ثوبه ويفلي ثوبه) أو أنه كان يقوم من نومه فيسأل عن طعام فلا يجد فينوي الصوم .. والحقيقة أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كما تقرر كتب السيرة جميعها . ما كتبها الخصوم والأتباع أنه ينحدر من أكبر سادة قريش .. وأن أجداده كانوا في مركز الرئـــاسة والقيادة وأماكن الشرف .. وأن جده عبد المطلب افتدى ولده عبد الله وهو والد سيدنا محمد بمائة من الإبل .. فكم كان يملك إذا؟. ثم إن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم كان يخرج على تجارة السيدة خديجة التي تعدل تجارة قريش بأسرها وكان يأخذ ضعف ما يأخذه غيره عندما يخرج على أي تجارة .. لأمانته واجتهاده وحسن خلقه .. وما كان يخرج على التجارة إلا كل موسر أمين .. فلم يكن إذا سيدنا رسول الله بالشاب الفقير .. وعندما أصيبت قريش بأزمة مالية عنيفة أودت بثراء

الأثرياء .. وهزت كيان الأغنياء .. ذهب صلى الله عليه وسلم إلى عمه العباس وكان من أكثر بني هاشم يساراً وقال له (ان أخاك أبا طالب كثير العيال.وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله .. آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه) وأخذ العباس جعفرا .. وأخذ رسول الله علياً بن أبي طالب .. فهل بذلك كان فقيراً ؟ .. ثم عندما جمع عشيرته وأهله ليعرض عليهما الإسلام واستضاف هذا الجمع لإيام .. وعندما أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة بعد أن هاجر إلى المدينة ليحضرا زوجته سوده وهبهما علاوة على الدواب خمسمائة درهم هدية لهما .

ثم هذه الغنائم التي له صلى الله عليه وسلم فيها نصيب .. هل كان يسرف في انفاقه حتى لا يجد قوت يومه .. فيصوم .. وكيف كان ينفق إذاً على بيته بما يضم مئات المستفسرين عن الدين والراغبين في التزود بما يقوله صلى الله عليه وسلم .. والفقراء والمحتاجين .. بل كيف ينفق كل ما معه ويصبح فقيراً محتاجاً وفي ذلك لا يعمل بقول الله الذي تلاه على الناس بالنص الشريف :

(وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً) .

(٢٩ سورة الإسراء)

هل يمكن أن يكون ذلك مما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ..

وكيف يرقع ثوبه وكان يهدي الصحابة والتابعين الفقراء القمصان والأردية .. ويفلي ثوبه .. مما يا ترى هل من شوك أو أذى من الطرقات .. وكيف يصل إلى ثوبه .. إن الرسول كان الداعية الأول لنظافة المسلمين .. النظافة الظاهرية والباطنية .. حبب في ارتداء الأبيض من اللباس .. ليظهر فيه أي علامات من غبار فينظفها المسلم . .

لا شك أن كل هذه الأحاديث والسير يعرف أصلها إذا ما قرأنا ما يتداول في الكتب من نص يقول :

(كان له درع عند يهودي رهنها على أكله وأكل أهله فما وجد ما يفكها حتى مات) .. فكيف يرهن درعه وهو كسلاحه على أكله .. وأكل أهله .. في الوقت الذي تأكدت فيه الدولة الإسلامية وانتشر الإسلام شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً ..وأثرى المسلمون من تجارتهم .. وعملهم .. وضرب المثل بالأغنياء من المسلمين .. فكان عبد الرحمن بن عوف يقطع الذهب بالفؤوس.. ويبني البيوت والمصحات صدقة للمسلمين .. وجهز عثمان بن عفان جيش العسرة .. كاملا .. كل هؤلاء المسلمين .. لم يجد الرسول ليرهن عند أحدهم درعه .. فيرهنه عند يهودي .. إن الفكرة واضحة .. والغرض ظاهر والأصل في وضع الحديث لا شك .. قد بان .. ثم كيف يجوع ويرهن درعه .. من كانت له سبعة أدرع معروفة بأسمائها وهي ذات الفضول وذات الوشاح وفضة والسغدية وذات الحواشي والبتراء والخرنق

أما الحديث الذي تتناقله كتب السيرة ويتداوله المسلمون على

أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه فقال (اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين) .. فانه يحتاج إلى وقفة تأمل وتدبر .. إذ كيف يدعو الرسول ربه .. لنفسه .. بما كتبه الله على الخصوم والأعداء .. خصوم الإسلام وأعداء الله .. فان القرآن الكريم يقول عن اليهود الذين حاربوا الله ورسوله .

(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ) .

(٦١ سورة البقرة)

والمسكنة غير الفقر إذ أن آية مصارف الزكاة قد حددت سهماً للفقراء وسهماً آخر للمساكين بالنص الشريف :

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

(٦٠ سورة التوبة)

ولأن المسكنة هي أسوأ حالات البشر فان القرآن الكريم قد جعل معظم الكفارات اطعام المساكين أو كسوتهم بالنص الشريف :

(لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ

يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) .
(٨٩ سورة المائدة)

والآيات كثيرة التي تقرر إطعام المساكين .

فالمسكنة هي الذلة والضعف والهوان .. ولا يمكن أن يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه بذلك .. وهو العزيز الكريم الذي قرر الله سبحانه وتعالى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين بالنص الكريم :

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) .
(٨ سورة المنافقون)

لقد دس الخصوم القصص والروايات والأحاديث على المسلمين بخبث ودهاء وتناقلها المسلمون بحسن نية وبلا دراسة أو تمحيص حتى ضمنوها كتبهم .. ويهدف الخصوم من ذلك إلى محاربة الإسلام مستندين إلى ما جاء في كتب المسلمين .. والأهم من ذلك أنهم يهدفون إلى أن يتواكل المسلم ويقعد عن السعي وألا يجاهد أو يكافح .. كيف لا وأمامه القدوة والمثل الأعلى سيدنا رسول الله الذي أظهروه في صورة الفقير الذي دائماً يجوع .. والذي دائماً يدعو ربه أن يكون مسكيناً .. وأن يحشره في زمرة المساكين وبذلك يتأكد الخير الذي ينتظر المساكين في

الآخرة .. فيعمل كل إنسان جاهداً أن يكون مسكيناً .. ويتقدم الناس ويتأخر المسلمون .. ولعل في هذا الرد على سؤال دائماً ما يثيره غير المسلمين لكل مسلم يزور بلادهم .. إلا وهو إذا كان الإسلام هو دين الله .. والمسلمون هم أهل الله .. فلماذا هم متخلفون عن غيرهم .. مستعمرون في أوطانهم .. تابعون لمن هم دونهم ؟ . .

إن التخلف نتج عن المسلمين أنفسهم .. نتج عن تهاونهم في أمر دينهم .. وليس بسبب دينهم .. فان القلة الأولى المؤمنة الصادقة المتمسكة بالإسلام .. سعت وجاهدت .. تعلمت وعلمت. وتعلمت وعملت .. في الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها حتى دانت لهم البلاد والأمصار .. واتسعت رقعة الإسلام في كل مكان .. وكانوا هم القادة .. وغيرهم التابعين .. وضعوا أصول العلم والمعرفة .. وكانوا أساتذة كل فن وحكمة .. ضرب بثرائهم المثل .. كانت تخرج الزكاة من أموال المسلمين.. فلا يتقدم أي مسلم منها .. فكلهم أغنياء .. أثرياء .. فوق حد استحقاق الزكاة .. وقويت شوكة الإسلام .. والمسلمين .. وما استطاع الخصوم حربهم .. أو لقاءهم .. ولكنهم عمدوا إلى أساليبهم الملتوية .. وطرقهم الخفية .. دسوا عليهم .. وفسروا لهم . وحببوا إليهم الانخراط إلى الكسل .. والزهد .. عن العمل. وترك السعي في الدنيا . .

إن الكتب المتداولة عن السيرة والحديث والتفاسير في حاجة سريعة إلى عمل إيجابي لتنقيتها من كل ما دسه الخصوم .. بخبث

ودهاء . أو وضعه الأتباع .. بحسن نية .. ويخالف الإسلام ويتعارض مع العقل . ويناقض القرآن .. إذ به يحاربنا الخصوم.. ومنه تثار الأسئلة وتتولد الشكوك .

(قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أدعُو إلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحان اللهِ وَمَا أنَا مِنَ المُشْرِكِينَ) .
(١٠٨ سورة يوسف)

صدق الله العظيم


هذا الكتاب
كلنا مرّ في مآزق عقيدية تلمس فيها مخرجاً
لنفسه فلم يجد. لذلك كان هذا الكتاب..
وأهداه المؤلف: «إلى كل أب وأم يجدان
حرجاً فيما يسألهما عنه أولادهما..»
«إلى كل من تهجس نفسه ببعض الشك فيما
يؤمن أو يعتقد...» «إلى كل من استمع الى
الخصوم فتولدت لديه شبهات في الايمان والاسلام
«ردوداً عن الايمان لتثبيت عقيدته واجابة
عن الاسلام لبيان حقيقته»!
الناشر
الناشر
دار الكتاب العربي
دار الاسلام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة